المغني في التفسير

المُحَرِّرُ الجَامِعُ لِتَفَاسِيرِ السَّلَفِ

[تَهْذِيبُ التَّفْسِيرِ المُحَرَّرِ لِلدُّرَرِ السَّنِيَّةِ]

[مُطَرَّزًا بِحَاشِيَةٍ مِنْ تَحْرِيرَاتٍ وَتَرْجِيحَاتٍ وَتَعْلِيقَاتِ عُيُونِ تَفَاسِيرِ المُحَقِّقِينَ فِي التَّفْسِيرِ:

{ابْنِ جَرِيرٍ، وَابْنِ عَطِيَّةَ، وَابْنِ تَيْمِيَّةَ، وَابْنِ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ، وَابْنِ كَثِيرٍ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى}

كَتَبَهُ وَاعْتَنَى بِهِ

د/ هَانِي بْن عَبْده

د/ آلَاء رِضَا

«المُغْنِي فِي التَّفْسِيرِ»

المُحَرَّرُ الجَامِعُ لِتَفَاسِيرِ السَّلَفِ

[تَهْذِيبُ التَّفْسِيرِ المُحَرَّرِ لِلدُّرَرِ السَّنِيَّةِ]

[مُطَرَّزًا بِحَاشِيَةٍ مِنْ تَحْرِيرَاتٍ وَتَرْجِيحَاتٍ وَتَعْلِيقَاتِ عُيُونِ تَفَاسِيرِ المُحَقِّقِينَ فِي التَّفْسِيرِ:

{ابْنِ جَرِيرٍ، وَابْنِ عَطِيَّةَ، وَابْنِ تَيْمِيَّةَ، وَابْنِ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ، وَابْنِ كَثِيرٍ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى}

مُقْتَبَسَةً مِنْ مُوسُوعَةِ التَّفْسِيرِ المَأْثُورِ

كَتَبَهُ وَاعْتَنَى بِهِ

د/ هَانِي بْنُ عَبْدِهِ

د/ آلَاء رِضَا

غَفَرَ اللَّهُ لَهُمَا وَلِوَالِدَيْهِمَا وَلِمَشَايِخِهِمْ وَلِلْمُسْلِمِينَ

بسم الله الرحمن الرحيم

«المُغْنِي فِي التَّفْسِيرِ»

المُحَرِّرُ الجَامِعُ لِتَفَاسِيرِ السَّلَفِ

سُورَةُ الذَّارِيَاتِ، سُورَةُ الطُّورِ، سُورَةُ النَّجْمِ

(المجلَّدُ الخامِسُ والثَّلاثون)

"هَذِهِ مُسْوَدَّةُ نُسْخَةٍ إِلِكْتِرُونِيَّةٍ، جَمِيعُ حُقُوقِهَا مَحْفُوظَةٌ لِلْمُؤَلِّفِ.

لَا يُسْمَحُ بِنَشْرِهَا أَوْ تَدَاوُلِهَا إِلَّا بِإِذْنٍ كِتَابِيٍّ صَرِيحٍ مِنَ الْمُؤَلِّفِ."

نسخة إلكترونية

تَفْسِيرُ
سُورَةِ الذَّارِيَاتِ

سورةُ الذَّارِياتِ

سورةُ الذَّارِياتِ

سُمِّيَت هذه السُّورةُ بسُورةِ (الذَّارِياتِ).(1)

سورةُ الذَّارِياتِ مَكِّيَّةٌ، نقَل الإجماعَ على ذلك غيرُ واحِدٍ مِنَ المفَسِّرينَ.(2)

مِن أهمِّ مَقاصدِ هذه السُّورةِ:

إقامةُ الأدِلَّةِ على أنَّ العِبادةَ لا تكونُ إلَّا للهِ تعالى وَحْدَه، وعلى أنَّ البَعثَ حَقٌّ.

مِن أبرزِ المَوضوعاتِ الَّتي تناولَتْها هذه السُّورةُ:

1- افتُتِحَت هذه السُّورةُ بالقَسَمِ مِنَ اللهِ تعالى ببَعضِ مَخلوقاتِه على أنَّ البَعثَ والجزاءَ كِلاهما حَقٌّ.

---

(1) سُمِّيَت بالذَّارياتِ؛ لِمُفتَتَحِها في قَولِه تعالى: وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا [الذاريات: 1]، ووَجهُ التَّسـميةِ أنَّ هذه الكَلِمةَ لم تقَعْ بهذه الصِّيغةِ في غَيرِها مِن سُوَرِ القُرآنِ الكريمِ.

يُنظر: ((بصائر ذوي التمييز)) للفيروزابادي (1/439)، ((تفسير ابن عاشور)) (26/335).

(2) ممَّن نَقَل الإجماعَ على ذلك: ابنُ عطيَّةَ، وابنُ الجوزيّ، والقُرطبيُّ، والبِقاعيُّ.

يُنظر: ((تفسير ابن عطية)) (5/153)، ((تفسير ابن الجوزي)) (4/167)، ((تفسير القرطبي)) (17/29)، ((مصاعد النظر)) للبقاعي (3/24).

2- إبطالُ مَزاعِمِ المُكَذِّبينَ، ووعيدُهم بعذابِ النَّارِ.

3- بيانُ ما أعَدَّه اللهُ سُبحانَه لعبادِه المُتَّقينَ.

4- ذِكرُ طَرَفٍ مِن قَصَصِ الأنبياءِ: إبراهيمَ، ولُوطٍ، وهُودٍ، وصالحٍ، ومُوسى، ونُوحٍ، عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ.

5- ذِكرُ ما يدُلُّ على كمالِ قُدرةِ اللهِ تعالى، وعلى سَعةِ رَحمتِه.

6- تقريرُ أنَّ اللهَ ما خَلَق الجِنَّ والإنسَ إلَّا لعبادتِه.

7- توعُّدُ المُشرِكينَ بأنْ يَنالَهم نَصيبٌ مِنَ العَذابِ مِثلُ نَصيبِ نُظَرائِهم مِنَ المكَذِّبينَ، ووَعيدُ الكافِرينَ مِن يَومِهم الَّذي يُوعَدونَ.

سورةُ الذَّارِياتِ

الآيات (1–6)

وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا (1) فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا (2) فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا (3) فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا (4) إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ (5) وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ (6)

غريب الكلمات:

وَالذَّارِيَاتِ: أي: الرِّياحِ التي تُفرِّقُ التُّرابَ وهَشيمَ النَّبتِ، وأصلُ (ذرو): يدُلُّ على تَساقُطِ الشَّيءِ مُتفرِّقًا.

فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا: أي: السَّحابِ الَّذي يَحمِلُ ثِقلًا مِنَ الماءِ، وأصلُ (حمل): يدُلُّ على إقلالِ الشَّيءِ، وأصلُ (وقر): يدُلُّ على ثِقلٍ في الشَّيءِ.

فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا: أي: السُّفُنِ الَّتي تجري في الماءِ مُيَسَّرةً جَريًا سَهلًا، وأصلُ (جري): يدُلُّ على انسياحِ شَيءٍ.

فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا: أي: الملائِكةِ الَّتي تُقَسِّمُ أمرَ اللهِ في خَلْقِه، وأصلُ (قسم): يدُلُّ على تجزئةِ شَيءٍ.

الدِّينَ: أي: الجزاءَ بالأعمالِ والقِصاصَ، ومنه يُقالُ: دِنْتُه بما صنَعَ، وأصلُ (دين): جنسٌ مِن الانقيادِ والذُّلِّ.

لَوَاقِعٌ: أي: لَكائنٌ لا مَحالةَ، وأصلُ (وقع): يدُلُّ على سقوطِ شَيءٍ.

تفسير الآيات:

وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا (1).

أي: أُقسِمُ بالرِّياحِ[3] الَّتي تُفرِّقُ التُّرابَ أو المطَرَ، أو النَّباتَ اليابِسَ، أو غيرَ ذلك ممَّا تُفرِّقُه الرِّيحُ وتَنشُرُه.

كما قال تعالى: فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ [الكهف: 45].

وقال سُبحانَه: اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا [الروم: 48].

فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا (2).

أي: فالسَّحابِ الَّذي يَحمِلُ ثِقلًا مِن ماءٍ كثيرٍ.

كما قال تعالى: حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ [الأعراف: 57].

وقال سُبحانَه: وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ [الرعد: 12].

(3) قال ابن عطية (٨/ ٦١): «والذّاريات: الرِّياح، بإجماع من المتأولين».

فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا (3).

أي: فالسُّفُنِ الَّتي تجري في البِحارِ بسُهولةٍ ويُسرٍ.(4)

كما قال تعالى: وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ [الحج: 65].

وقال سُبحانَه: وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ [الشورى: 32].

فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا (4).

أي: فالملائِكةِ الَّتي تُقَسِّمُ أمْرَ اللهِ تعالى في خَلْقِه بإذْنِه ووَفْقَ ما أمَرَها به، كالأرزاقِ.(5)

---

(4) ذكر ابنُ عطية (٨/ ٦١) إضافة إلى ما ورد في آثار السلف أن الجاريات يسرًا: هي السُّفن؛ قولين آخرين: أحدهما: أنها السحاب بالريح.

الثاني: أنها الجواري من الكواكب.

ثم علّق على الأقوال الثلاثة قائلًا: «واللفظ يقتضي جميع هذا».

ورجّح ابنُ تيمية -مستندًا إلى النظائر، والدلالة العقلية- أنها الجواري من الكواكب، فقال: «الأنسب أن تكون هي الكواكب المذكورة في قوله: ﴿فلا أقسم بالخنس الجواري الكنس﴾ [التكوير: ١٥ - ١٦] فسمّاها جواري كما سمّى الفُلك جواري في قوله: ﴿ومن ءايته الجوار في البحر كالأعلام﴾ [الرحمن: ٣٢]، والكواكب فوق السحاب، ثم قال: ﴿فالمقسمات أمرا﴾ وهي الملائكة التي هي أعلى درجة من هذا كله».

وقال ابنُ كثير (١٣/ ٢٠٨): «أما الجاريات يُسرًا فالمشهور عن الجمهور: أنها السُّفن، تجري ميسرة في الماء جريًا سهلًا».

ثم ذكر قول من قال: إنها الجواري من الكواكب.

ولم يعلق عليه.

(5) ذكر ابنُ عطية (٨/ ٦٢) أن «المقسمات أمرًا: الملائكة، والأمر هنا اسم الجنس».

ووجَّه هذا المعنى بقوله: «فكأنه تعالى قال: والجماعات التي تقسم أمر الملكوت من الأرزاق والآجال، والخلْق في الأرحام، وأمر الرياح والجبال وغير ذلك؛ لأن كل هذا إنما هو بملائكة تخدمه».

ثم علَّق بقوله: «فالآية تتضمّن جميع الملائكة؛ لأنهم كلهم في أمور مختلفة».

كما قال الله تعالى: فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ * أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ [الدخان: 4، 5].

وقال سُبحانَه: فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا * فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا [المرسلات: 4، 5].

وقال عزَّ وجلَّ: فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا [النازعات: 5].

وقال جَلَّ شأنُه: تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ [القدر: 4].

وعن عبدِ اللهِ بنِ مَسعودٍ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: حَدَّثَنا رَسولُ اللهِ - ﷺ - وهو الصَّادِقُ المَصدوقُ، قال: ((إنَّ أحَدَكم يُجمَعُ خَلْقُه في بَطنِ أُمِّه أربَعينَ يَومًا، ثمَّ يكونُ في ذلك عَلَقةً مِثلَ ذلك، ثمَّ يكونُ في ذلك مُضغةً مِثلَ ذلك، ثمَّ يُرسَلُ المَلَكُ فيَنفُخُ فيه الرُّوحَ، ويُؤمَرُ بأربعِ كَلِماتٍ: بكَتْبِ رِزْقِه، وأجَلِه، وعَمَلِه، وشَقيٌّ أو سعيدٌ)).(6)

وعن حُذَيْفةَ بنِ أَسِيدٍ الغِفاريِّ رَضِيَ اللهُ عنه قال: سَمِعتُ رَسولَ اللهِ - ﷺ - يقولُ: ((إذا مَرَّ بالنُّطفةِ ثِنتانِ وأربعونَ لَيلةً بَعَث اللهُ إليها مَلَكًا، فصَوَّرها، وخَلَق سَمْعَها وبَصَرَها، وجِلْدَها ولَحْمَها وعِظامَها، ثمَّ قال: يا رَبِّ، أذَكَرٌ أم أُنثى؟ فيَقضي ربُّك ما شاء، ويَكتُبُ المَلَكُ، ثمَّ يقولُ: يا رَبِّ، أجَلُه؟ فيقولُ رَبُّك ما شاء، ويَكتُبُ المَلَكُ، ثمَّ يقولُ: يا رَبِّ، رِزقُه؟ فيَقضي رَبُّك ما شاء، ويَكتُبُ المَلَكُ، ثمَّ يَخرُجُ المَلَكُ بالصَّحيفةِ في يَدِه، فلا يَزيدُ على ما أُمِرَ ولا يَنقُصُ)).(7)

---

(6) أخرجه البخاريُّ (3208)، ومسلمٌ (2643) واللَّفظُ له.
(7) أخرجه مسلم (2645).

وعن عائِشةَ رَضِيَ اللهُ عنها، عن النَّبيِّ – ﷺ – في قِصَّةِ ذَهابِه إلى الطَّائِفِ: ((قال جِبريلُ: إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ قد سَمِعَ قَولَ قَومِك لك، وما رَدُّوا عليك، وقد بَعَث إليك مَلَكَ الجِبالِ؛ لِتَأمُرَه بما شِئتَ فيهم، فناداني مَلَكُ الجِبالِ وسلَّمَ عليَّ، ثمَّ قال: يا محمَّدُ، إنَّ اللهَ قد سَمِعَ قَولَ قَومِك لك، وأنا ملَكُ الجِبالِ، وقد بعَثَني ربُّك إليك؛ لِتَأمُرَني بأمْرِك)).(8)

إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ (5).

أي: إنَّ الَّذي يَعِدُكم اللهُ به –أيُّها النَّاسُ– وَعدٌ صادِقٌ لا كَذِبَ فيه مُطلَقًا.(9)

كما قال تعالى: إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ [المرسلات: 7].

وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ (6).

أي: وإنَّ حِسابَ اللهِ لعِبادِه ومُجازاتَهم لَشَيءٌ كائِنٌ وواقِعٌ لا مَحالةَ.

---

(8) أخرجه البخاري (3231)، ومسلم (1795) واللَّفظُ له.

(9) قال ابنُ عطية (٨/ ٦٢): «و﴿توعدون﴾ يحتمل أن يكون من الإيعاد، ويحتمل أن يكون من الوعد، وأيها كان فالوصف له بالصدق صحيح».

سورةُ الذَّارِياتِ

الآيات (7–14)

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ (7) إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ (8) يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ (9) قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ (10) الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ (11) يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ (12) يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ (13) ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ (14)

غريب الكلمات:

الْحُبُكِ: أي: الطَّرائِقِ الحَسَنةِ المُحْكَمةِ البِناءِ، وأصلُ (حبك): يدُلُّ على إحكامِ شَيءٍ في امتدادٍ واطِّرادٍ.

يُؤْفَكُ: أي: يُصرَفُ، والإفكُ: كُلُّ ما صُرِفَ عن وَجهِه الَّذي يحِقُّ أن يكونَ عليه، وأصلُ (أفك): يدُلُّ على قَلبِ شَيءٍ، وصَرفِه عن جِهتِه.

الْخَرَّاصُونَ: أي: الكَذَّابونَ، وأصلُ الخَرْصِ: التَّظَنِّي فيما لا يَستيقِنُه، يُقالُ: خرَصْتُ النَّخلَ، إذا حزَرْتَ ثمرَه، وكلُّ قولٍ مقولٍ عن ظنٍّ وتخمينٍ يقالُ: خَرْصٌ، سواءٌ كان مطابقًا للشيءِ أو مخالفًا له، وقيلَ للكَذِبِ: خَرصٌ؛ لِما يَدخُلُه مِن الظُّنونِ الكاذِبةِ.

غَمْرَةٍ: أي: غَفلةٍ وعَمًى وجَهالةٍ، وأصلُ (غمر): يدُلُّ على تَغطيةٍ وسَترٍ.

سَاهُونَ: أي: لاهُونَ غافِلونَ، والسَّهوُ: الغفلةُ عن الشَّيءِ، وذَهابُ القَلبِ عنه، وأصلُ (سهو): يدُلُّ على غَفلةٍ.

أَيَّانَ: أي: متى، وهو عِبارةٌ عن وَقتِ الشَّيءِ. وقيل: أصلُ (أيَّانَ): أيُّ أوانٍ، فخَفَّفوا (الياءَ) مِن (أيٍّ)، وترَكوا همزةَ (أوان)، فالتَقَتْ ياءٌ سَاكِنةٌ بَعْدَها واوٌ، فأُدغِمَت (الواوُ) فِي (الياءِ)؛ فصارَ (أيَّانَ).

يُفْتَنُونَ: أي: يُعَذَّبون ويُحرَقون، وأصلُ الفَتْنِ: إدخالُ الذَّهبِ النَّارَ لِتَظهَرَ جودتُه مِن رداءتِه، واستُعمِلَ في إدخالِ الإنسانِ النَّارَ.

تفسير الآيات:

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ (7).

أي: أُقسِمُ بالسَّماءِ ذاتِ الخَلْقِ الحَسَنِ المُتقَنِ المُحكَمِ البِناءِ.[10]

إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ (8).

أي: إنَّكم[11] -أيُّها المُشرِكونَ- لَفي أقوالٍ مُختَلِفةٍ مُتناقِضةٍ مُضطَرِبةٍ في شَأنِ تَكذيبِكم بالحَقِّ، كوَصفِكم القُرآنَ بأنَّه سِحرٌ وشِعرٌ وأساطيرُ الأوَّلينَ، أو وَصْفِكم النَّبيَّ بأنَّه ساحِرٌ ومَجنونٌ وشاعِرٌ!

---

(10) نقل ابنُ عطية (٨/ ٦٣) عن منذر بن سعيد قوله: «إنّ السماء في تألّف جِرمها هي هكذا لها حُبُك، وذلك لجودة خِلْقتها وإتقان صَنعتها».

وعلَّق عليه بقوله: «ولذلك عبّر ابن عباس – رضي الله عنهما – في تفسير قوله تعالى: ﴿والسَّماءِ ذاتِ الحُبُكِ﴾ بأن قال: حُبُكها: حُسْن خِلقَتها...».

قال ابنُ جرير (٢١/ ٤٨٦ بتصرف): «قوله تعالى: ﴿والسماء ذات الحبك﴾ يقول -تعالى ذِكْرُه-: والسماء ذات الخَلْق الحَسن، وعنى بقوله: ﴿ذات الحبك﴾: ذات الطرائق...

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل، وإن اختلفت ألفاظ قائليه فيه».

وذكر ابنُ كثير (١٣/ ٢٠٩) عبارات السلف في معنى الحُبك، ثم علّق قائلًا: «وكل هذه الأقوال ترجع إلى شيء واحد، وهو الحُسْن والبهاء، كما قال ابن عباس – رضي الله عنهما –، فإنها مِن حُسنها مرتفعة شفّافة صفيقة، شديدة البناء، متسعة الأرجاء، أنيقة البهاء، مكلّلة بالنجوم الثوابت والسيارات، موشحة بالشمس والقمر والكواكب الزاهرات».

ونقل ابنُ عطية (٨/ ٦٣) عن ابن جني قوله: «الحُبُك: طرائق الغَيْم ونحو هذا».

(11) ذكر ابنُ عطية (٨/ ٦٤) في المخاطب بقوله: ﴿إنكم﴾ احتمالين، ووجّههما، فقال: «وقوله تعالى: ﴿إنكم لفي قول مختلف﴾ يحتمل أن يكون خطابًا لجميع الناس مؤمن وكافر، أي: اختلفتم بأن قال فريق منكم: آمنّا بمحمد وكتابه، وقال فريق آخر: كفرنا، وهذا قول قتادة.

ويحتمل أن يكون خطابًا للكفرة فقط، أي: أنتم في جنس من الأقوال مختلف في نفسه، قوم منكم يقولون: ساحر، وقوم: كاهن، وقوم: شاعر، وقوم: مجنون إلى غير ذلك، وهذا قول ابن زيد».

كما قال تعالى: بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ [ق: 5].

يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ (9).

أي: يُصرَفُ عن الإيمانِ بسببِ[12] هذا القولِ المُختلِفِ مَن سبَق في عِلمِ اللهِ أنَّه مصروفٌ.

كما قال تعالى: وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ * كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ [الحج: 3، 4].

وقال سُبحانَه: فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ * مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ * إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ [الصافات: 161 – 163].

---

(12) ذكر ابنُ عطية (٨/ ٦٤ – ٦٥) في عود الضمير في قوله: ﴿عنه﴾ عدة احتمالات، فقال: «والضمير في: ﴿عنه﴾ قال الحسن وقتادة: هو عائد على محمد أو كتابه وشرعه، و﴿يُؤْفَكُ﴾ معناه: يُصرف، فالمعنى: يُصرف عن كتاب الله مَن صُرف ممن غلبت شقاوته، وكان قتادة يقول: المأفوك منا اليوم عن كتاب الله كثيرًا.
ويحتمل أن يعود الضمير على القول، أي: يُصرف بسببه مَن أراد الإسلام، بأن يقال له: هو سحر، هو كهانة.
وهذا حكاه الزهراوي.
ويحتمل أن يعود الضمير في ﴿عنه﴾ على القول، أي: يُصرف عنه بتوفيق الله إلى الإسلام مَن غَلبت سعادته، وهذا على أن يكون قوله: ﴿إنكم لفي قول مختلف﴾ للكفار فقط».
ثم علّق على الاحتمال الأخير، فقال: «وهذا وجه حسن لا يخل به، إلا أنّ عُرف الاستعمال في» أفك «إنما هو في الصرف من خير إلى شر، وتأمل ذلك تجدها أبدًا في المصروفين المذمومين».
وذكر ابنُ القيم (٣/ ٣٣) القول بعود الضمير على محمد – ﷺ –، ووجّهه، فقال: «والمعنى: يُصرف عنه مَن صُرف حتى يكذّب به».

قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ (10).

أي: لُعِنَ[13] أولئك الكذّابونَ الَّذين يَقولونَ الباطِلَ في الدِّينِ، ظنًّا منهم بلا يَقينٍ!

كما قال تعالى: قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ * مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ [يونس: 69، 70].

الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ (11).

أي: الَّذين هم في الباطِلِ غارِقونَ، وعن الحَقِّ غافِلونَ، وعن الآخِرةِ لاهُونَ.

كما قال الله تعالى: وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا [الكهف: 28].

وقال سُبحانَه وتعالى: اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ * مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ * لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ [الأنبياء: 1 – 3].

وقال عزَّ وجلَّ: فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ [المؤمنون: 54].

---

(13) رجّح ابنُ عطية (٨/ ٦٥) أن قوله: ﴿قتل﴾ دعاء عليهم، كقول القائل: قاتلك الله.
ثم انتقد –مستندًا إلى ظاهر اللفظ– ما جاء في قول ابن عباس، فقال: «وقال بعض المفسرين معناه: لُعن الخراصون. وهذا تفسير لا تعطيه اللفظة».
اختُلف في تفسير قوله: ﴿الخراصون﴾ على قولين: الأول: أنهم الكهنة الذين يتخرصون الكذب والباطل.
الثاني: أنهم المرتابون.
وقد رجّح ابنُ جرير (٢١/ ٤٩٢) القول الأول مستندًا إلى أقوال السلف، فقال: «قوله تعالى: ﴿قتل الخراصون﴾ يقول –تعالى ذكره–: لُعن المتكهنون الذين يتخرّصون الكذب والباطل فيتطيبونه».

يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ (12).

أي: يَسألُ أولئك المُكَذِّبونَ بالبَعثِ؛ استِهزاءً به، واستِبعادًا لوُقوعِه: متى يَقَعُ هذا اليَومُ الَّذي يَبعَثُ اللهُ فيه عِبادَه لِمُحاسَبتِهم ومُجازاتِهم على أعمالِهم؟!

كما قال الله تعالى: وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ [الملك: 25، 26].

وقال تعالى: عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ * الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ [النبأ: 1 – 3].

وقال عزَّ وجلَّ: يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا * فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا * إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا [النازعات: 42 – 44].

يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ (13).

أي: يَقَعُ الجزاءُ عليهم يومَ يُعرَضونَ على النَّارِ فيُحرَقونَ بها ويُعَذَّبونَ.(14)

---

(14) في قوله: ﴿يوم هم على النار يفتنون﴾ قولان: الأول: أنهم يُحرقون ويُعذّبون بالنار.
الثاني: أنهم يُكذّبون.
وقد رجّح ابنُ جرير (٢١/ ٤٩٨) –مستندًا إلى اللغة– القول الأول، وعلَّل ذلك بقوله: «لأن الفتنة أصلها: الاختبار، وإنما يقال: فتنت الذهب بالنار: إذا طبختها بها لتعرف جودتها؛ فكذلك قوله: ﴿يوم هم على النار يفتنون﴾ يُحرقون بها كما يُحرق الذهب بها».
وقال ابنُ عطية (٨/ ٦٥ – ٦٦): «و﴿يفتنون﴾ معناه: يُحرقون ويُعذّبون في النار. قاله ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، والجميع».

كما قال تعالى: وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا [الكهف: 100].

وقال سُبحانَه: وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ * وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ [فاطر: 36، 37].

وعلّق ابنُ القيم (٣/ ٣٣ – ٣٤ بتصرف) على القول الأول، فقال: «والمشهور في تفسير هذا الحرف أنه بمعنى: يُحرقون، ولكن لفظة ﴿على﴾ تعطي معنًى زائدًا على ما ذكروه، ولو كان المراد نفس الحرق لقيل: يوم هم في النار يفتنون.

ولهذا لَمّا علم هؤلاء ذلك قال كثير منهم ﴿على﴾ بمعنى: في، كما تكون» في «بمعنى: على.

ومَن جعل الفتنة ههنا مِن الحريق أخذه من قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ والْمُؤْمِناتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا﴾ [البروج: ١٠]، واستشهد على ذلك أيضًا بهذه اللفظة التي في الذّاريات».

ثم قال: «والظاهر أنّ فتنتهم على النار قبل فتنتهم فيها، لهم عند عرضهم عليها ووقوفهم عليها فتنة، وعند دخولهم والتعذيب بها فتنة أشد منها.

وحقيقة الأمر أنّ الفتنة تُطلق على: العذاب وسببه، ولهذا سمى الله الكفر: فتنة، فهم لما أتوا بالفتنة التي هي أسباب العذاب في الدنيا سُمّي جزاءهم: فتنة، ولهذا قال: ﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ﴾ وكان وقوفهم على النار وعرضهم عليها مِن أعظم فتنتهم، وآخر هذه الفتنة دخول النار والتعذيب بها، ففُتنوا أولًا بأسباب الدنيا وزينتها، ثم فُتنوا بإرسال الرسل إليهم، ثم فُتنوا بمخالفتهم وتكذيبهم، ثم فُتنوا بعذاب الدنيا، ثم فُتنوا بعذاب الموت، ثم يُفتنون في موقف القيامة، ثم إذا حُشروا إلى النار وُقِفوا عليها وعُرضوا عليها وذلك من أعظم فتنتهم، ثم الفتنة الكبرى التي أنستهم جميع الفتن قبلها».

ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ (14).

ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ.

أي: يُقالُ لهم وهم يُعَذَّبونَ حينَها في النَّارِ: ذُوقُوا حَريقَكم وعَذابَكم؛ جزاءَ كُفرِكم وتَكذيبِكم.[15]

هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ.

أي: هذا هو العَذابُ الَّذي كُنتُم تَطلُبونَ تَعجيلَه في الدُّنيا؛ استِهزاءً به، وتَكذيبًا واستِبعادًا لِوُقوعِه!

كما قال تعالى: وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ [ص: 16].

وقال سُبحانَه: يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا [الشورى: 18].

---

(15) في قوله: ﴿ذوقوا فتنتكم﴾ قولان: الأول: ذوقوا تكذيبكم.

الثاني: ذوقوا حريقكم وعذابكم.

وقد رجّح ابنُ جرير (٢١/ ٤٩٩) القول الأول مستندًا إلى أقوال السلف.

سورةُ الذَّارِياتِ

الآيات (15-19)

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (15) آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ (16) كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (17) وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (18) وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (19)

غريب الكلمات:

يَهْجَعُونَ: أي: يَنامونَ، والهُجوعُ: النَّومُ باللَّيلِ دونَ النَّهارِ، وأصلُ (هجع): يدُلُّ على نَومٍ.

وَبِالْأَسْحَارِ: جَمعُ سَحَرٍ، وهو آخِرُ اللَّيلِ، وأصلُ (سحر) هنا: يدُلُّ على وَقتٍ مِنَ الأوقاتِ.

وَالْمَحْرُومِ: أي: الفقيرِ المتعَفِّفِ الَّذي لا يَسألُ، وأصلُ (حرم): يدُلُّ على مَنعٍ وتَشديدٍ.

تفسير الآيات:

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (15).

أي: إنَّ الَّذين اتَّقَوا سَخَطَ اللهِ تعالى وعَذابَه بامتِثالِ أوامِرِه واجتِنابِ نواهيه: لَمُستقِرُّونَ في الدَّارِ الآخِرةِ في بَساتينَ عَظيمةٍ، وعُيونٍ جاريةٍ.

كما قال تبارك وتعالى: إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ * فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ [الدخان: 51، 52].

وعن أنَسِ بنِ مالِكٍ رَضِيَ اللهُ عنه: ((أنَّ أمَّ الرُّبَيِّعِ بِنتَ البَراءِ – وهي أمُّ حارِثةَ ابنِ سُراقةَ– أتت النَّبيَّ – ﷺ – فقالت: يا نبيَّ اللهِ، ألَا تُحَدِّثُني عن حارِثةَ؟ –وكان قُتِلَ يومَ بَدرٍ، أصابه سَهمٌ غَرْبٌ[16] – فإنْ كان في الجنَّةِ صَبرْتُ، وإن كان غيرَ ذلك اجتهَدْتُ عليه في البُكاءِ، قال: يا أُمَّ حارِثةَ، إنَّها جِنانٌ في الجنَّةِ، وإنَّ ابنَك أصابَ الفِردَوسَ الأعلى!)).[17]

آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ (16).

---

(16) سهمٌ غَرْبٌ: أي: لا يُدرى مَن رماه.
يُنظر: ((المفردات)) للراغب (ص: 605).
(17) أخرجه البخاري (2809).

آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ.

أي: آخِذينَ في الجنَّاتِ ما أعطاهم اللهُ تعالى مِنَ النِّعَمِ والخَيراتِ.(18)

كما قال تعالى: فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ [الطور: 18].

وعن أبي سَعيدٍ الخُدْريِّ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: قال رَسولُ اللهِ – ﷺ –: ((إنَّ اللهَ يقولُ لأهلِ الجنَّةِ: يا أهلَ الجنَّةِ، فيَقولونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنا وسَعْدَيك،(19) والخَيرُ في يدَيك، فيقولُ: هل رَضِيتُم؟ فيَقولونَ: وما لَنا

---

(18) نقل ابنُ عطية (٨/ ٦٦) عن ابن عباس قوله: «المعنى: ﴿آخِذِينَ﴾ في دنياهم ﴿ما آتاهُمْ رَبُّهُمْ﴾ من أوامره ونواهيه وفرائضه وشرعه».

ووجَّهه بقوله: «فالحال على هذا محكية، وهي متقدمة في الزمان على كونهم في جنات وعيون»، ونقل ابنُ عطية (٥/ ١٧٤ ط. دار الكتب العلمية) عن جماعة من المفسرين: أن «معنى قوله: ﴿آخذين ما آتاهم ربهم﴾ أي: مُحصّلين لنعم الله التي أعطاهم من جنته ورضوانه».

ووجَّهه بقوله: «وهذه حال متصلة في المعنى بكونهم في الجنات».

ثم رجَّحه قائلًا: «وهذا التأويل أرجح عندي؛ لاستقامة الكلام به».

وانتقد ابنُ كثير (١٣/ ٢١١) أثر ابن عباس، فقال: «وهذا الإسناد ضعيف، ولا يصح عن ابن عباس.

وقد رواه عثمان بن أبي شيبة، عن معاوية بن هشام، عن سفيان، عن أبي عمر البزار، عن مُسْلِم البَطِين، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس، فذكره».

ثم انتقد –مستندًا إلى اللغة– تفسير ابن جرير الآية على ما جاء في قول ابن عباس، فقال: «والذي فسّر به ابن جرير فيه نظر؛ لأن قوله: ﴿آخذين﴾ حال من قوله: ﴿في جنات وعيون﴾، فالمتقون في حال كونهم في الجنات والعيون آخذون ما آتاهم ربهم، أي: من النعيم والسرور والغبطة».

(19) لَبَّيك: أي: أدومُ على طاعتِك دَوامًا بعدَ دوامٍ، وأُقيمُ على طاعتِك إقامةً بعدَ إقامةٍ، من: أَلَبَّ بالمكانِ: إذا أقام به.

وسَعْدَيْك: أي: ساعَدْتُ طاعتَك يا ربِّ مُساعدةً بعدَ مساعدةٍ، وهي الموافقةُ والمسارعةُ، أو أسعَدُ بإقامتي على طاعتِك وإجابتي لدعوتك سعادةً بعدَ سعادةٍ.

يُنظر: ((مرقاة المفاتيح)) للقاري (673/2).

لا نَرضَى يا رَبِّ، وقد أعطَيْتَنا ما لم تُعْطِ أحَدًا مِن خَلْقِك؟! فيَقولُ: ألَا أُعطيكم أفضَلَ مِن ذلك؟! فيقولونَ: يا رَبِّ، وأيُّ شَيءٍ أفضَلُ مِن ذلك؟! فيَقولُ: أُحِلُّ عليكم رِضواني، فلا أسخَطُ عليكم بَعْدَه أبَدًا)).[20]

إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ.

أي: إنَّ المُتَّقينَ كانوا في الدُّنيا مُحسِنينَ في عبادةِ اللهِ، مُحسِنينَ إلى عبادِ اللهِ.

كما قال تعالى: كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ [الحاقة: 24].

وفي حديثِ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عنه في قِصَّةِ سُؤالِ جِبريلَ للنَّبيِّ - ﷺ -، قال: أخبِرْني عن الإحسانِ، قال: ((أن تَعبُدَ اللهَ كأنَّك تَراه، فإنْ لم تكُنْ تَراه فإنَّه يَراك)).[21]

كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (17).

أي: كانوا يَنامونَ قليلًا مِنَ اللَّيلِ، فهم يُكابِدونَ السَّهَرَ في اللَّيلِ؛ لِعبادةِ رَبِّهم.[22]

---

(20) أخرجه البخاري (7518)، ومسلم (2829).

(21) أخرجه مسلم (8).

(22) اختُلف في تفسير قوله: ﴿كانوا قليلًا من الليل ما يهجعون﴾ على أقوال: الأول: معناه: كانوا قليلًا من الليل لا يهجعون، وقالوا: ﴿ما﴾ بمعنى الجحد.

الثاني: كانوا قليلًا من الليل يهجعون، ووجهوا ﴿ما﴾ التي في قوله: ﴿ما يهجعون﴾ إلى أنها صلة.

الثالث: معناه: كانوا يُصلُّون العَتَمَة.

الرابع: أن معناه: كان هؤلاء المحسنون قبل أن تُفرض عليهم الفرائض قليلًا من الناس، والكلام بعد قوله: ﴿إنهم كانوا قبل ذلك محسنين﴾ كانوا قليلًا مستأنف بقوله: ﴿من الليل ما يهجعون﴾.

كما قال تعالى: وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ [الإسراء: 79].

وقال سُبحانَه: وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا [الفرقان: 64].

وقد بيّن ابنُ جرير (٢١/ ٥٠٦) أنه على القول الثاني «يجوز أن تكون ﴿ما﴾ في موضع رفع، ويكون تأويل الكلام: كانوا قليلًا من الليل هجوعهم».

ثم قال: «وأما مَن جعل ﴿ما﴾ صلة فإنه لا موضع لها؛ ويكون تأويل الكلام على مذهبه: كانوا يهجعون قليل الليل، وإذا كانت ﴿ما﴾ صلة كان القليل منصوبًا بـ ﴿يهجعون﴾».

وعلّق على القول الثالث، فقال: «وعلى هذا التأويل ﴿ما﴾ في معنى الجحد».

وعلّق على القول الرابع، فقال: «فالواجب أن تكون ﴿ما﴾ على هذا التأويل بمعنى الجحد».

ثم رجّح (٢١/ ٥٠٩) -مستندًا إلى الأغلب من ظاهر اللفظ- القول الثاني، فقال: «وأولى الأقوال بالصحة في تأويل قوله: ﴿كانوا قليلًا من الليل ما يهجعون﴾ قول مَن قال: كانوا قليلًا من الليل هجوعهم؛ لأن الله -تبارك وتعالى- وصفهم بذلك مدحًا لهم، وأثنى عليهم به، فوصفهم بكثرة العمل، وسهر الليل، ومكابدته فيما يُقرّبهم منه ويرضيه عنهم أولى وأشبه من وصفهم من قلّة العمل، وكثرة النوم، مع أنّ الذي اخترنا في ذلك هو أغلب المعاني على ظاهر التنزيل».

وبنحوه ابنُ عطية (٨/ ٦٧) حيث قال: «وظاهر الآية عندي أنهم كانوا يقومون الأكثر من ليلهم، أي: من كل ليلة».

وبيّن أن ﴿ما﴾ على هذا مصدرية و﴿قليلًا﴾ خبر كان، و«الهجوع» مرتفع بـ ﴿قليلًا﴾ على أنه فاعل، ويكون المعنى على هذا: «كانوا قليلًا من الليل هجوعهم».

وكذا ابنُ تيمية (٦/ ١٠٢) مستندًا إلى النظائر، فقال: «وأصح الأقوال: أنّ معناه: كانوا يهجعون قليلًا. فـ ﴿قليلًا﴾ منصوب بـ ﴿يهجعون﴾ و﴿ما﴾ مؤكدة.

وهذا مثل قوله: ﴿بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما يؤمنون﴾ [البقرة: ٨٨]، وقوله: ﴿كانوا قليلًا من الليل ما يهجعون﴾ هو مُفسّر في سورة المزمل بقوله: ﴿قم الليل إلا قليلا*نصفه أو انقص منه قليلا * أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا﴾ [المزمل: ٢ - ٤]، فهذا المستثنى من الأمر هو القليل المذكور في تلك السور، وهو قليل بالنسبة إلى مجموع الليل والنهار؛ فإنهم إذا هجعوا ثلثه أو نصفه أو ثلثاه فهذا قليل بالنسبة إلى ما لم يهجعوه من الليل والنهار، وسواء ناموا بالنهار أو لم يناموا».

وانتقد ابنُ القيم (٣/ ٣٥) -مستندًا إلى الدلالة العقلية، والسنة، والنظائر- القول الأول بقوله: «وهذا ضعيف لوجوه» ثم ذكر لضعفه عدة وجوه، أهمها ما يلي: ١ - أنّ هذا ليس بلازم لوصف المتقين الذين يستحقون هذا الجزاء.

٢ - أنّ قيام مَن نام من الليل نصفه أحبّ إلى الله من قيام مَن قامه كلّه.

٣ - أنه لو كان هذا مرادًا لكان النبي أولى به، وما قام ليلة حتى الصباح.

٤ - أنه سبحانه لما أمره بقيام الليل في سورة المزمل إنما أمره بقيام النصف أو النقصان منه أو الزيادة عليه فذكر له هذه المراتب الثلاثة، ولم يذكر قيامه كلّه.

وقال عزَّ وجلَّ: تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا [السجدة: 16].

وقال تبارك وتعالى: أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ [الزمر: 9].

وقال جلَّ شأنُه: قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا * نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا [المزمل: 2 – 4].

وقال جَلَّ جَلالُه: وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا [الإنسان: 26].

وعن عبدِ اللهِ بنِ سَلَامٍ رَضِيَ اللهُ عنه، أنَّ النَّبيَّ – ﷺ – قال: ((أيُّها النَّاسُ، أفْشُوا السَّلامَ، وأطعِموا الطَّعامَ، وصَلُّوا والنَّاسُ نِيامٌ؛ تَدخُلوا الجَنَّةَ بسَلامٍ)).[23]

وعن عبدِ اللهِ بنِ عَمرٍو رَضِيَ اللهُ عنهما، أنَّ رَسولَ اللهِ – ﷺ – قال: ((إنَّ في الجَنَّةِ غُرفةً يُرى ظاهِرُها مِن باطِنِها، وباطِنُها مِن ظاهِرِها، فقال أبو موسى الأَشْعَريُّ: لِمَن هي يا رَسولَ اللهِ؟ قال: لِمَن ألانَ الكلامَ، وأطعَمَ الطَّعامَ، وباتَ للهِ قائِمًا والنَّاسُ نِيامٌ)).[24]

---

(23) أخرجه الترمذيُّ (2485)، وابنُ ماجَه (1105) وأحمدُ (23784)، والدَّارِميُّ (1501).

صحَّحه الترمذيُّ، والذهبيُّ في ((تاريخ الإسلام)) (34/2)، وجوَّد إسنادَه النوويُّ في ((الأذكار)) (307)، وحَسَّنه ابنُ الملَقِّنِ في ((البدر المنير)) (42/9)، وحَسَّن الحديثَ ابنُ حَجَر كما في ((الفتوحات الربانية)) لابن علان (277/5)، وصَحَّحه الألباني في ((صحيح سنن الترمذي)) (2485).

(24) أخرجه أحمد (6615) واللَّفظُ له، والطَّبَرانيُّ (80/14) (14687)، والحاكِمُ (270).

وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (18).

أي: وهم في آخِرِ اللَّيلِ يَطلُبونَ مِنَ اللهِ المَغفِرةَ لِذُنوبِهم، أو لِتَقصيرِهم في عبادةِ رَبِّهم.

كما قال تعالى: وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ [آل عمران: 17].

وعن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، أنَّ رَسولَ اللهِ – ﷺ – قال: ((يَنزِلُ رَبُّنا تبارك وتعالى كُلَّ لَيلةٍ إلى السَّماءِ الدُّنيا حينَ يَبقى ثُلُثُ اللَّيلِ الآخِرُ، يَقولُ: مَن يَدْعوني فأستَجيبَ له؟ مَن يَسألُني فأُعطِيَه؟ مَن يَستَغفِرُني فأَغفِرَ له؟)).[25]

صَحَّحه على شَرطِ الشَّيخَينِ الحاكِمُ، وحَسَّن إسنادَه المُنذِريُّ في ((الترغيب والترهيب)) (289/1)، والهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (257/2)، والبوصيري في ((إتحاف الخيرة المهرة)) (232/8).

وصَحَّح إسنادَه أحمد شاكر في تحقيق ((مسند أحمد)) (111/10)، وقال الألباني في ((صحيح الترغيب والترهيب)) (617): (حَسَنٌ صحيحٌ).

(25) أخرجه البخاريُّ (1145) واللَّفظُ له، ومسلمٌ (758).

وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (19).

أي: وفي أموالِ أولئك المتَّقينَ المُحسِنينَ نَصيبٌ ثابِتٌ للمُحتاجِ الَّذي يَسأَلُهم، وللمَحرومِ مِن المالِ الَّذي لا يَسأَلُهم منه شَيئًا.[26]

---

(26) اختلف السلف فيمن أراد الله بقوله: ﴿والمحروم﴾ على أقوال: الأول: أنه المحارَف الذي لا سهم له في الإسلام.

الثاني: أنه المتعفف الذي لا يسأل الناس.

الثالث: أنه الذي لا سهم له في الغنيمة.

الرابع: أنه الذي لا ينمى له مال.

الخامس: أنه الذي قد ذهب ثمره وزرعه.

وقد ذكر ابنُ جرير (٢١/ ٥١٨) هذه الأقوال، ثم رجّح صحّة جميعها –مستندًا إلى العموم– فيها، فقال: «والصواب من القول في ذلك عندي: أنه الذي قد حُرم الرزق واحتاج، وقد يكون ذلك بذهاب ماله وثمره، فصار ممن حرمه الله ذلك، وقد يكون بسبب تعفّفه وتركه المسألة، ويكون بأنّه لا سهم له في الغنيمة لغيبته عن الوقعة، فلا قول في ذلك أولى بالصواب من أن تعم، كما قال –جلّ ثناؤه–: ﴿وفي أموالهم حق للسائل والمحروم﴾».

وقال ابنُ عطية (٨/ ٦٨): «واختلف الناس في المحروم اختلافًا هو عندي تخليط من المتأخرين؛ إذ المعنى واحد، وإنما عبّر علماء السلف في ذلك بعبارات على جهة المثالات، فجعلها المتأخرون أقوالًا».

ثم رجّح: «أنه الذي لا مال له لحرمانٍ أصابه، وإلا فالذي تُصاب ثمرته وله مال كثير غيرها فليس في هذه الآية بإجماع».

وزاد قولًا سادسًا عن عمر بن عبد العزيز: أن المحروم هو الكلب.

ثم وجّهه بقوله: «وقد يكون الكلب محرومًا في بعض الأوقات والحالات، ألا ترى إلى الذي كان يأكل الثرى من العطش... الحديث».

رجح ابنُ عطية (٨/ ٦٨) أن هذه الآية محكمة، فقال: «الصحيح أنها محكمة، وأن هذا الحق هو على وجه الندب، لا على وجه الفرض».

ثم ذكر عن بعض أهل التأويل أن ذلك كان ثم نُسخ بالزّكاة، وانتقده مستندًا إلى الدلالة التاريخية، فقال: «وقال قوم من المتأولين: كان هذا ثُم نُسخ بالزّكاة، وهذا غير قوي، وما شرع الله – عز وجل – بمكة قبل الهجرة شيئًا من أخذ الأموال».

كما قال تبارك وتعالى: وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ * لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ [المعارج: 24، 25].

سورةُ الذَّارِياتِ

الآيات (20-23)

وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ (20) وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (21) وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ (22) فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ (23)

تفسير الآيات:

وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ (20).

أي: وفي الأرضِ دَلائِلُ وعَلاماتٌ على تَوحيدِ اللهِ وحِكمتِه، ورَحمتِه وقُدرتِه على بَعثِ عِبادِه، وغَيرِها مِن صِفاتِ كَمالِه، وذلك للمُوقِنينَ باللهِ ولِقائِه وصِدقِ رُسُلِه.

كما قال تعالى: وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ [الرعد: 3، 4].

وقال تبارك وتعالى: وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ * وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ * لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ * سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ [يس: 33 – 36].

وقال تقدَّسَت أسماؤه: وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [فصلت: 39].

وقال جلَّ شأنُه: فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ * أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا * ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا * فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا * وَعِنَبًا وَقَضْبًا * وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا * وَحَدَائِقَ غُلْبًا * وَفَاكِهَةً وَأَبًّا * مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ [عبس: 24 – 32].

وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (21).

أي: وفي أنفُسِكم دَلائِلُ وعَلاماتٌ على توحيدِ اللهِ، وكَمالِ قُدرتِه ورَحمتِه وحِكمتِه، وغَيرِ ذلك مِن صِفاتِ كَمالِه، أفلا تُبصِرونَ تلك الدَّلائِلَ الَّتي في نُفوسِكم؟![27]

وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ (22).

أي: وفي السَّماءِ رِزقُكم مِن الأمطارِ، وصُنوفِ الأقدارِ المكتوبةِ، وفي السَّماءِ ما وُعِدْتُم به كذلك.[28]

---

(27) في قوله: ﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾ قولان: الأول: وفي سبيل الخلاء من البول والغائط عِبرة لكم.
الثاني: وفي تسوية الله –تبارك وتعالى– مفاصل أبدانكم وجوارحكم دلالة لكم على أن خُلقتم لعبادته.
وقد ذكر ابنُ جرير (٢١/ ٥٢٠) القولين، ثم رجّح العموم وقال: «الصــواب من القول في ذلك أن يقال: معنى ذلك: وفي أنفسكم أيضًا –أيها الناس– آيات وعِبر تدلّكم على وحدانية صانعكم، وأنه لا إله لكم سواه؛ إذ كان لا شيء يقدر على أن يخلق مثل خلْقه إياكم، ﴿أفلا تبصرون﴾ يقول: أفلا تنظرون في ذلك فتتفكّروا فيه؛ فتعلموا حقيقة وحدانية خالقكم».
(28) قال ابن جرير (٢١/ ٥٢٠): «وقوله: ﴿وفي السماء رزقكم﴾ يقول –تعالى ذكره–: ﴿وفي السماء﴾ المطر والثلج اللذان بهما تخرج الأرض ﴿رزقكم﴾ وقوتكم من الطعام والثمار وغير ذلك، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال بعض أهل التأويل».
وذكر آثار السلف الدالة على ذلك، ثم ذكر قول واصل الأحدب، ولم يعلّق عليه.
وقد ذكر ابنُ القيم (٣/ ٤٢) القول بأن الرزق المطر كما في آثار الســلف، وزاد قولين آخرين، فقال: «أما الرزق ففُسّــر بالمطر، وفُسّر بالجنة، وفُسّر برزق الدنيا والآخرة».
ثم علّق قائلًا: «ولا ريب أن المطر من الرحمة، وأن الجنة مستقر الرحمة، فرزْق الدارين في السماء التي هي في العلو».
في قوله: ﴿وما توعدون﴾ أقوال للسلف: الأول: ما توعدون مِن خير أو شرٍّ.

كما قال تعالى: وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ [هود: 6].

وقال سُبحانَه: هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ [غافر: 13].

وقال عزَّ وجلَّ: وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ [الجاثية: 5].

الثاني: ما توعدون من الجنة والنار.

الثالث: ما توعدون من أمر الساعة.

الرابع: ما توعدون من الثواب والعقاب.

وقد رجّح ابنُ جرير (٢١/ ٥٢٣) –مستندًا إلى دلالة العموم– القول الأول، فقال: «لأنّ الله عمّ الخبر بقوله: ﴿وما توعدون﴾ عن كل ما وُعِدنا من خير أو شر، ولم يخصّص بذلك بعضًا دون بعض، فهو على عمومه كما عمّه الله».

وقد ذكر ابنُ القيم (٣/ ٤٢ – ٤٣) هذه الأقوال، ثم علّق بقوله: «كون الجنة والخير في السماء فلا إشكال فيه، وكون النار في السماء وما يوعد به أهلها يحتاج إلى تبيين».

ثم علّق بقوله: «فإذا نظرتَ إلى أسباب الخير والشر وأسباب دخول الجنة والنار وافتراق الناس وانقسامهم إلى شقيّ وسعيد وجدتَ ذلك كلّه بقضاء الله وقدره النازل مِن السماء، وذلك كلّه مُثبت في السماء في صحف الملائكة وفي اللوح المحفوظ قبل العمل وبعده، فالأمر كلّه من السماء.

وقول من قال: من أمر الساعة؛ يكشف عن هذا المعنى، فإنّ أمر الساعة يأتي من السماء، وهو الموعود بها، فالجنة والنار الغاية التي لأجلها قامت الساعة».

ثم علّق قائلًا: «فصح كل ما قال السلف في ذلك».

وقال ابنُ عطية (٨/ ٦٩): «و﴿توعدون﴾ يحتمل أن يكون مِن الوعد، ويحتمل أن يكون من الوعيد، والكلّ في السماء».

وعن عبدِ اللهِ بنِ عَمرِو بنِ العاصِ رَضِيَ اللهُ عنهما، قال: سَمِعتُ رَسولَ اللهِ - ﷺ - يقولُ: ((كتَبَ اللهُ مَقاديرَ الخلائِقِ قبْلَ أن يَخلُقَ السَّمواتِ والأرضَ بخَمسينَ ألْفَ سَنةٍ)).[29]

فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ (23).

أي: أُقسِمُ برَبِّ السَّماءِ والأرضِ إنَّه لحَقٌّ ثابِتٌ لا شَكَّ فيه، كما أنَّكم تنطِقونَ حَقيقةً بلا خيالٍ ولا سِحرٍ، ودونَ أدنى شَكٍّ منكم في ذلك.

(29) أخرجه مسلم (2653).

سورةُ الذَّارِياتِ

الآيات (24–30)

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ (24) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ (25) فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ (26) فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (27) فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ (28) فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ (29) قَالُوا كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ (30)

غريب الكلمات:

فَرَاغَ: أي: مالَ في خُفيةٍ، وأصلُ (روغ): يدُلُّ على مَيلٍ، وقِلَّةِ اسْتِقْرارٍ.

فَأَوْجَسَ: أي: أضمرَ وأحَسَّ، والوَجْسُ: الصَّوتُ الخفيُّ، وأصلُه يدُلُّ على إحساسٍ بِشَيءٍ وتَسَمُّعٍ له.

صَرَّةٍ: أي: ضجَّةٍ، وشِدَّةِ صِياحٍ، ومنه أُخِذَ صَريرُ البابِ، وهو صوتُه، وأصلُ (صرر): يدُلُّ على صَوتٍ.

فَصَكَّتْ: أي: لَطَمت وضَربَت، وأصلُ (صكك): يدُلُّ على تلاقي شَيئَينِ بقُوَّةٍ.

عَقِيمٌ: أي: لا تَحمِلُ ولا تَلِدُ؛ مِن العُقمِ: وهو القَطعُ والمَنعُ.

تفسير الآيات:

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ (24).

أي: ألَمْ يأتِكَ -يا محمَّدُ- خبَرُ ضُيوفِ إبراهيمَ مِن الملائِكةِ[30] المُكْرَمينَ عندَ اللهِ، وعندَ إبراهيمَ وأهلِه بحُسنِ ضيافتِهم؟!

قال تعالى عن الملائكةِ: بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ [الأنبياء: 26].

إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ (25).

إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا.

أي: وذلك حينَ دَخَل أولئك الملائِكةُ على إبراهيمَ، فقالوا له: نُسَلِّمُ عليك سَلامًا.

كما قال الله تبارك وتعالى: وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ (51) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا... [الحجر: 51، 52].

---

(30) نقل ابنُ عطية (٨/ ٧٣) رواية ولم ينسبها: «أن أضياف إبراهيم - عليه السلام - هؤلاء: هم جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وأتباع لهم من الملائكة».

ذكر ابنُ القيم (٣/ ٤٥) في قوله: ﴿المكرمين﴾ قولين: الأول: أنهم مُكرمون لأن إبراهيم - عليه السلام - أكرمهم بنفسه.

الثاني: أنهم المكرمون عند الله.

ثم علّق بقوله: «ولا تنافي بين القولين؛ فالآية تدل على المعنيين».

قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ.

أي: قال إبراهيمُ لهم: سلامٌ دائمٌ عليكم، قَومٌ غيرُ مَعروفِينَ!

فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ (26).

فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ.

أي: فانسَلَّ إبراهيمُ ومالَ إلى أهلِ بَيتِه في خُفيةٍ عن ضُيوفِه؛ لِيُبادِرَ بإكرامِهم!

فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ.

أي: فأحضَرَ لهم عِجلًا مِن البَقَرِ سَمينًا مَشويًّا؛ لِيُكرِمَهم به!

كما قال تعالى: وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ [هود: 69].

فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (27).

أي: فقرَّب إبراهيمُ العِجْلَ إليهم، فلم تمتَدَّ أيديهم لأَكْلِه! فقال عارِضًا عليهم الطَّعامَ بلُطفٍ: ألَا تأكُلونَ!

فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ (28).

فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً.

أي: فشَعَر إبراهيمُ في نَفْسِه بخَوفٍ منهم حينَ امتَنَعوا عن تناوُلِ الطَّعامِ!

كما قال تعالى: فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً [هود: 70].

قَالُوا لَا تَخَفْ.

أي: فقالوا مُطَمْئِنينَ له: لا تخَفْ منَّا.

كما قال تعالى: قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ [هود: 70].

وقال سُبحانَه: قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ * قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ [الحجر: 52، 53].

وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ.

أي: وبَشَّرَتْه الملائِكةُ بولادةِ زَوجِه سارةَ غُلامًا يكونُ مِن أهلِ العِلمِ باللهِ وبدِينِه، وهو إسحاقُ عليه السَّلامُ.(31)

---

(31) اختلف السلف في قوله: ﴿وبشروه بغلام عليم﴾ على قولين: الأول: أنه إسحاق.

الثاني: أنه إسماعيل.

وقد رجّح ابنُ جرير (٢١/ ٥٢٧) –مستندًا إلى دلالة ظاهر اللفظ، والتاريخ– أن المُبشَّر به هو إسحاق، وعلَّل ذلك بقوله: «وإنما قلتُ: عني به إسحاق؛ لأن البشارة كانت بالولد من سارة، وإسماعيل لهاجر لا لسارة».

وبنحوه ابنُ عطية (٨/ ٧٤) بقوله: «والأول أرجح».

وانتقد الثاني بقوله: «وهذا وهم»

كما قال تعالى: وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ [هود: 71].

وقال سُبحانَه: وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ * قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ [الحجر: 51 – 53].

فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ (29).

فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ.

أي: فأقبَلَت امرأةُ إبراهيمَ في صَيحةٍ حينَ سَمِعَت تلك البِشارةَ![32]

فَصَكَّتْ وَجْهَهَا.

أي: فضرَبت وَجْهَها بيَدِها؛ تعجُّبًا مِمَّا سَمِعَتْه![33]

---

(32) نقل ابنُ عطية (٨/ ٧٤، ٧٥) في معنى: ﴿فِي صَرَّةٍ﴾ عن النحاس قوله: «وقيل: ﴿فِي صَرَّةٍ﴾ في جماعة نسوة يتبادرن نظرًا إلى الملائكة».

(33) اختلف السلف في قوله: ﴿فصكت وجهها﴾ على قولين: الأول: لَطَمَت.

الثاني: معناه: ضَربتْ بيدها جبهتها.

وقد ذكر ابنُ جرير (٢١/ ٥٣٠) القولين، ثم قال معلّقًا: «والصّكّ عند العرب: هو الضرب.

وقد قيل: إنّ صكّها وجهها، أن جمعت أصابعها، فضَربتْ بها جبهتها».

وعلّق ابنُ عطية (٨/ ٧٥) على الأول، فقال: «وهذا مما يفعله الذي يَرِدُ عليه أمر يَسْتَهْوله».

وعلّق على الثاني، فقال: «وهذا مستعمل في الناس حتى الآن».

وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ.

أي: وقالت: أنا عَجوزٌ عَقيمٌ لم ألِدْ في شبابي، فكيف ألِدُ الآنَ بعدَ كِبَرِ سِنِّي، وعَدَمِ صَلاحِيَتي للحَملِ؟!

كما قال تعالى: قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ [هود: 72].

قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ (30).

قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ.

أي: قالت الملائِكةُ لها: هكذا قال ربُّكِ إنَّك ستَلِدينَ غُلامًا كما بشَّرْناكِ!

إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ.

أي: إنَّ اللهَ هو الحَكيمُ في أفعالِه وخَلْقِه، وشَرْعِه وقَدَرِه؛ فيَضَعُ كُلَّ شَيءٍ في مَوضِعِه الصَّحيحِ اللَّائِقِ به، البالِغُ العِلمِ بكُلِّ شَيءٍ؛ فلا يَخفَى عليه شَيءٌ سُبحانَه.

سورةُ الذَّارِياتِ

الآيات (31–37)

قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (31) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ (32) لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ (33) مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ (34) فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (35) فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (36) وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (37)

غريب الكلمات:

خَطْبُكُمْ: أي: أمرُكم وشأنُكم المُهِمُّ، وأصلُ (خطب) هنا: يدُلُّ على الكلامِ بيْنَ اثنَينِ، وسُمِّيَ بذلك لِمَا يَقَعُ فيه مِن التَّخاطُبِ والمُراجَعةِ.

مُسَوَّمَةً: أي: مُعلَّمةً؛ مِن السِّيماءِ: أي: العلَامةِ.

لِلْمُسْرِفِينَ: أي: المُتعَدِّينَ حُدودَ اللهِ، والسَّرَفُ: تجاوُزُ الحدِّ في كلِّ فِعلٍ يَفعَلُه الإنسانُ، وأصلُه: يدُلُّ على تعدِّي الحَدِّ.

تفسير الآيات:

قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (31).

أي: قال إبراهيمُ للمَلائكةِ بعدَ تَلقِّي بِشارتِهم له بالوَلَدِ: فما الشَّأنُ الخَطيرُ[34] الَّذي أرسَلَكم اللهُ مِن أجْلِه؟

قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ (32).

أي: قالوا له: إنَّا أرسَلَنا اللهُ إلى قَومٍ كافِرينَ فاسِدينَ، وهم قَومُ لُوطٍ عليه السَّلامُ.

كما قال تعالى: وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ * إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ * وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ * فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ * وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ [الأعراف: 80 – 84].

---

(34) نقل ابنُ عطية (٨/ ٧٥) في معنى «الخَطْب» قولًا، ولم ينسبه أنه «إنما يُعبَّر به عن الشدائد والمكاره حتى قالوا: خطوب الزمان.

وغير ذلك».

ووجَّهه بقوله: «وكأنّه يقول: ما هذه الطامة التي جئتم لها؟».

لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ (33).

أي: لنُمطِرَ عليهم مِنَ السَّماءِ حِجارةً أصلُها مِن طينٍ، فنَرجُمَهم بها.[35]

كما قال تعالى: إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ [العنكبوت: 34].

مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ (34).

أي: حِجارةً مُعلَّمةً عندَ اللهِ تعالى، قد أُعِدَّت لأولئك القومِ الَّذين تعَدَّوا حُدودَ اللهِ.[36]

كما قال الله تعالى: فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ * مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ [هود: 82، 83].

فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (35).

أي: فلَمَّا أرَدْنا إهلاكَ قَومِ لُوطٍ أخرَجْنا مَن كان في بَلَدِهم مِنَ المُؤمِنينَ باللهِ تعالى.

---

(35) نقل ابنُ عطية (٨/ ٧٥) رواية ولم ينسبها «أنه طين طُبخ في نار جهنم حتى صار حجارة كالآجُرِّ».

(36) ذكر ابنُ عطية (٨/ ٧٥) في قوله: ﴿مسومة﴾ عدة أقوال، فقال: «و﴿مسومة﴾ قيل: معناه: متروكة، وسومها من الإهلاك والانصباب.

وقيل: معناه: مُعلَّمة بعلامتها مِن السيما والسومى، وهي العلامة، أي: أنها ليست مِن حجارة الدنيا.

وقيل: معناه: على كل حجر اسم المضروب به.

وقيل: كان عليها أمثال الخواتم.

وقال ابن عباس: تسويمها إن كان في الحجارة السُّود نُقطٌ بيض وفي البيض سُودٌ».

ثم قال معلّقًا: «ويحتمل أن يكون المعنى: أنها بجملتها معلومة عند ربك لهذا المعنى مُعلّمة له، لا أنّ كلّ واحد منها له علامة خاصة به».

كما قال تعالى: إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ [الحجر: 59، 60].

وقال سُبحانه: فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ [الحجر: 65].

فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (36).

أي: فما وَجَدْنا في تلك القَريةِ غَيرَ أهلِ بَيتٍ واحِدٍ مِن أهلِ الإسلامِ.[37]

وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (37).

---

(37) عن سفيان الثوري –من طريق أيوب بن سُويد– قال: الإسلام والإيمان سواء ثم قرأ: ﴿فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين﴾ أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ٧/ ٣٤.

ذكر ابن كثير (١٣/ ٢١٩) نحو ما جاء في قول الثوري، وعلّق فقال: «احتجّ بهذه الآية مَن ذهب إلى رأي المعتزلة، ممن لا يفرّق بين مسمّى الإيمان والإسلام؛ لأنه أطلق عليهم المؤمنين والمسلمين.

وهذا الاستدلال ضعيف؛ لأن هؤلاء كانوا قومًا مؤمنين، وعندنا أنّ كلّ مؤمن مسلم لا ينعكس، فاتفق الاسمان هاهنا لخصوصية الحال، ولا يلزم ذلك في كل حال».

وبنحوه ابنُ تيمية (٦/ ١٠٤ – ١٠٥)، حيث نقل هذا عن الخطابي، وقال: «والذي اختاره الخطابي هو قول مَن فرَّق بينهما كأبي جعفر، وحمّاد بن زيد، وعبد الرحمن بن مهدي، وهو قول أحمد بن حنبل وغيره، ولا علمتُ أحدًا من المتقدّمين خالف هؤلاء فجعل نفس الإسلام نفس الإيمان؛ ولهذا كان عامّة أهل السنة على هذا الذي قاله هؤلاء.

كما ذكره الخطابي».

أي: وأبقَيْنا في تلك القَريةِ عَلامةً دالَّةً على سُوءِ عاقِبةِ أهلِها، للَّذين يخافونَ عَذابَ اللهِ المؤلِمَ المُوجِعَ، فيَستَدِلُّونَ بذلك على قُدرةِ اللهِ تعالى وانتِقامِه مِن المُجرِمينَ، ويَعتَبِرون ويتَّعِظونَ.(38)

كما قال تعالى: إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ * وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ * إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ [الحجر: 75 – 77].

وقال سُبحانَه وتعالى: وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ [العنكبوت: 35].

(38) كر ابن عطية (٨/ ٧٦) في معنى الآية احتمالين، فقال: «المعنى: وتركنا في القرية المذكورة، وهي ســـدوم أثرًا من العذاب باقيًا مؤرخًا لا يفنى ذكره فهو آية، أي علامة على قدرة الله وانتقامه من الكفرة.

ويحتمل أن يكون المعنى: وتركنا في أمرها.

كما قال: ﴿لقد كان في يوسف﴾ [يوسف: ٧]».

سورةُ الذَّارِياتِ

الآيات (38–46)

وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (38) فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ
(39) فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ (40) وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ
الْعَقِيمَ (41) مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ (42) وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ
تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ (43) فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ (44) فَمَا
اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ (45) وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ
(46)

غريب الكلمات:

بِسُلْطَانٍ: أي: حُجَّةٍ، وأصلُ السُّلطانِ: يدُلُّ على القُوَّةِ والقَهرِ والتَّسلُّطِ.

فَتَوَلَّى: أي: فأدبرَ وأعرَضَ؛ فـ (التَّولِّي) إذا عُدِّيَ بـ (عن) لَفظًا، أو تقديرًا -كما هنا- اقتَضى معنى الإعراضِ.

بِرُكْنِهِ: أي: بجانِبِه، وبما يَركَنُ إليه مِنَ القُوَّةِ في نَفْسِه وأعوانِه وجُنودِه، وأصلُ (ركن): يدُلُّ على قُوَّةٍ.

فَنَبَذْنَاهُمْ: أي: طَرَحْناهم وألقَيْناهم، والنَّبذُ: إلقاءُ الشَّيءِ وطَرحُه؛ لِقلَّةِ الاعتِدادِ به.

الْيَمِّ: أي: البَحرِ.

مُلِيمٌ: أي: مُسيءٌ، مُذنِبٌ، آتٍ بما يُلامُ عليه، وأصلُ (لوم): يدُلُّ على عَتْبٍ.

الْعَقِيمَ: أي: الَّتي لا خَيرَ فيها؛ فلا تأتي بمطرٍ ولا سحابٍ، ولا تُلقِحُ شجرًا، إنَّما هي للإهلاكِ، وأصلُ (عقم): يدُلُّ على غُمُوضٍ وضِيقٍ وشِدَّةٍ.

تَذَرُ: أي: تَترُكُ وتَدَعُ، يُقالُ: فُلانٌ يَذَرُ الشَّيءَ، أي: يَقذِفُه؛ لِقلَّةِ اعتِدادِه به.

كَالرَّمِيمِ: أي: كالشَّيءِ الهالِكِ البالي. والرَّميمُ: ما يَبِسَ مِن نَباتِ الأرضِ وتفَتَّتَ ودِيسَ، وأصلُ (رمم) هنا: يدُلُّ على بَلاءِ الشَّيءِ.

فَعَتَوْا: أي: تكَبَّروا وتجَبَّروا، والعُتُوُّ: الخُروجُ عن الطَّاعةِ، وأصلُه يدُلُّ على استِكبارٍ.

الصَّاعِقَةُ: أي: الصَّيحةُ الَّتي يموتُ مَن يَسمعُها، أو يُغشَى عليه. وقيل: كُلُّ عَذابٍ مُهلِكٍ. وقيل: الصَّاعِقةُ: الصَّوتُ الشَّديدُ مِنَ الرَّعدِ، يَسقُطُ معها قِطعةُ نارٍ، وأصلُ (صعق): يدُلُّ على شِدَّة الصَّوتِ.

تفسير الآيات:

وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (38).

أي: وفي قِصَّةِ مُوسى آيةٌ وعِبرةٌ حينَ أرسَلْناه إلى فِرعونَ بحُجَّةٍ واضِحةٍ ظاهِرةٍ دالَّةٍ على صِدقِه.

كما قال الله تبارك وتعالى: قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ * وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ [الأعراف: 106 – 108].

فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (39).

فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ.

أي: فأعرَضَ فِرعَونُ بجانبِه عن الحقِّ واتِّباعِه، مُستَقْوِيًا بجُنْدِه الَّذين يَعتمِدُ عليهم، ويَركَنُ إليهم في شَدائِدِه.(39)

---

(39) قال ابنُ جرير (٢١/ ٥٣٤ – ٥٣٥): «وقوله: ﴿فتولى بركنه﴾ يقول: فأدبر فرعونُ كما أرسلنا إليه موسى بقومه مِن جنده وأصحابه، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل وإن اختلفت ألفاظ قائليه فيه».

ثم ذكر قول ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وابن زيد.

وبيّن ابنُ كثير (١٣/ ٢٢٠ بتصرف) أنّ قوله: ﴿تولى بركنه﴾ معناه: «أي: فأعرض فرعونُ عمّا جاءه به موسى مِن الحقّ المُبين استكبارًا».

ورجّحه –مستندًا إلى النظائر– بقوله: «هذا المعنى قويٌّ، كقوله: ﴿ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله﴾ [الحج: ٩]، أي: مُعرِضٌ عن الحقّ مستكبر».

كما قال الله تبارك وتعالى: فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى * فَكَذَّبَ وَعَصَى * ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى [النازعات: 20 – 22].

وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ.

أي: وقال فِرعَونُ: إمَّا أنَّ موسى ساحِرٌ يَسحَرُ النَّاسَ، أو هو مجنونٌ لا عَقْلَ له!

فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ (40).

أي: فأخَذْنا فِرعَونَ وجُنودَه، فطَرَحْناهم في البَحرِ، فغَرِقوا والحالُ أنَّ فِرعَونَ قد أتَى بما يُلامُ عليه مِنَ الكُفرِ والظُّلمِ، فاستحقَّ عذابَ اللهِ تعالى.

وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ (41).

أي: وفي قِصَّةِ عادٍ آيةٌ وعِبرةٌ حينَ أرسَلْنا عليهم الرِّيحَ الشَّديدةَ الَّتي لا خَيرَ ولا بَرَكةَ فيها؛ فلا تُلقِحُ شَجَرًا، ولا تَسوقُ مَطَرًا.

كما قال تعالى: فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ [فصلت: 16].

وعن ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنهما، أنَّ النَّبيَّ - ﷺ - قال: ((نُصِرْتُ بالصَّبَا،[40] وأُهلِكَتْ عادٌ بالدَّبُورِ))[41].[42]

مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ (42).

أي: ما تَترُكُ تلك الرِّيحُ العَقيمُ شَيئًا ممَّا تمرُّ عليه إلَّا صَيَّرَتْه كالشَّيءِ البالي اليابِسِ المُفتَّتِ!

كما قال الله سبحانَه وتعالَى: تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ [الأحقاف: 25].

وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ (43).

---

(40) الصَّبا: هي الرِّيحُ الشَّرقيَّةُ.

يُنظر: ((شرح النووي على مسلم)) (6/198).

(41) الدَّبُور: هي الرِّيحُ الغَربيَّةُ.

يُنظر: ((شرح النووي على مسلم)) (6/198).

(42) أخرجه البخاري (1035)، ومسلم (900).

عن علي بن أبي طالب -من طريق خليفة بن الحُصين- قال: ﴿الرِّيحَ العَقِيمَ﴾ النَّكباء

أخرجه إسحاق البستي ص ٤٣٢.

وعزاه السيوطي إلى الفريابي، وابن المنذر.

انتقد ابنُ عطية (٨/ ٧٨) -مستندًا إلى السنة- هذا القول، فقال: «وهذا عندي لا يصح عن عليٍّ؟؛ لأنه مردود بقوله - ﷺ -: «نُصرتُ بالصّبا، وأُهلكت عاد بالدّبور»».

أي: وفي قِصَّةِ ثَمودَ آيةٌ وعِبرةٌ حينَ قال لهم نَبيُّهم صالحٌ: تمَتَّعوا في الدُّنيا إلى وَقتِ انتِهاءِ آجالِكم![43]

فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ (44).

فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ.

أي: فترَك كُفَّارُ ثَمودَ أمْرَ اللهِ، وأعرَضوا عن امتِثالِه؛ تكَبُّرًا منهم.

كما قال تعالى: كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا * إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا * فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا * فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا [الشمس: 11 – 14].

فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ.

أي: فأخَذَتْهم صاعِقةُ العَذابِ والحالُ أنَّهم يَنظُرونَ إلى عُقوبةِ اللهِ النَّازِلةِ بهم!

كما قال تعالى: وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ [فصلت: 17].

---

(43) ذكر ابنُ عطية (٨/ ٧٨) في قوله: ﴿تمتعوا حتى حين﴾ احتمالين، ورتّب عليهما المعنى في قوله: ﴿فعتوا عن أمر ربهم﴾، فقال: «وقوله تعالى: ﴿وفي ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين﴾ يحتمل أن يريد: إذ قيل لهم في أول بعث صالح: آمِنوا وأطيعوا فتمتعوا متاعًا حسنًا إلى آجالكم.

وهو الحين على هذا التأويل، وهو قول الحسن حكاه عنه الرماني، ويجيء قوله تعالى: ﴿فعتوا﴾ مُرتَّبًا لفظًا في الآية ومعنًى في الوجود متأخرًا عن القول لهم تمتعوا، ويحتمل أن يريد: إذ قيل لهم بعد عقر الناقة: تمتّعوا في داركم ثلاثة.

وهي الحين على هذا التأويل، وهو قول الفراء، ويجيء قوله: ﴿فعتوا﴾ غير مُرتّب المعنى في وجوده؛ لأن عُتوّهم كان قبل أن يقال لهم: تمتعوا، وكأن المعنى فكان من أمرهم قبل هذه المقالة أنْ عتَوا، وهو السبب في أن قيل لهم ذلك وعُذّبوا».

فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ (45).

فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ.

أي: فما استَطاعوا أن يَفِرُّوا مِن عَذابِ اللهِ، ولا أن يَدفَعوه عن أنفُسِهم!

وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ.

أي: وما كان كُفَّارُ ثَمودَ قادِرينَ على الانتِصارِ بأيِّ وَسيلةٍ كانت!

وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (46).

وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ.

أي: وأهلَكْنا قومَ نُوحٍ مِن قَبلِ تلك الأُمَمِ؛ فهم أوَّلُ مَن كذَّبوا بالحَقِّ.

كما قال تعالى: وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا [الفرقان: 37].

وقال سُبحانَه: وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ [العنكبوت: 14].

إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ.

أي: إنَّهم كانوا قومًا كافِرينَ عُصاةً، خارِجينَ عن طاعةِ اللهِ تعالى.

كما قال تعالى: وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى [النجم: 52].

القِراءاتُ ذاتُ الأثَرِ في التَّفسيرِ:

في قَولِه تعالى: وَقَوْمَ قِراءتانِ:

1- قِراءةُ وَقَوْمِ بكَسرِ الميمِ، على معنى: وفي قَومِ نُوحٍ آيةٌ وعِبرةٌ.(44)

2- قِراءةُ وَقَوْمَ بفَتحِ الميمِ، على معنى: أهلَكْنا قَومَ نُوحٍ، أو أغرَقْناهم، أو اذكُرْ قَومَ نوحٍ.(45)

---

(44) قرأ بها أبو عَمرٍو، وحمزةُ، والكِسائيُّ، وخَلَفٌ.
يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (377/2).
ويُنظر لمعنى هذه القراءةِ: ((الحجة في القراءات السبع)) لابن خالويه (ص: 332)، ((معاني القراءات)) للأزهري (31/3)، ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: 680، 681).

(45) قرأ بها الباقون.
يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (377/2).
ويُنظر لمعنى هذه القراءةِ: ((الحجة في القراءات السبع)) لابن خالويه (ص: 332)، ((معاني القراءات)) للأزهري (31/3)، ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: 681).

سورةُ الذَّارِياتِ

الآيات (47–51)

وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ (47) وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ (48) وَمِنْ
كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (49) فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ (50)
وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ (51)

غريب الكلمات:

بِأَيْدٍ: أي: بقُوَّةٍ وَقُدرةٍ، وأصلُ (أيد): يدُلُّ على القُوَّةِ والحِفظِ.

لَمُوسِعُونَ: أي: قادِرونَ، مُطيقونَ، ذَوُو سَعةٍ، يقال: أوسَعَ الرَّجُلُ، أي: صار ذا سَعةٍ وغِنًى، وأصلُ (وسع): يدُلُّ على خِلافِ الضِّيقِ والعُسرِ.

الْمَاهِدُونَ: المُهَيِّئُونَ المُوَطِّئُونَ، يقالُ: مَهَدْتُ الفِراشَ مَهْدًا: أي: بَسطْتُه ووطَّأْتُه، وتمهيدُ الأمورِ: تَسويتُها وإصلاحُها، ومنه المِهادُ: أي: الفِراشُ والمكانُ الممهَّدُ المُوطَّأُ.

تفسير الآيات:

وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ (47).

وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ.

أي: وبَنَيْنا السَّماءَ بقوَّةٍ وقُدرةٍ عَظيمةٍ.

كما قال تعالى: وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا [النبأ: 12].

وقال الله سُبحانَه وتعالى: أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا * رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا [النازعات: 27، 28].

وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ.

أي: وإنَّا لَموسِعونَ لأرجاءِ السَّماءِ، موسِعونَ على خَلقِنا بالرِّزقِ، قادِرونَ على خَلقِ ما نشاءُ خَلْقَه.[46]

---

(46) قال ابنُ جرير (٢١/ ٥٤٦): «وقوله: ﴿وإنا لموسعون﴾ يقول: لذو سَعة بخَلْقها وخلْق ما شئنا أن نخلقه وقدرة عليه، ومنه قوله: ﴿على الموسع قدره وعلى المقتر قدره﴾ [البقرة: ٢٣٦]، يراد به: القوي».

وذكر قول ابن زيد.

وذكر ابنُ عطية (٨/ ٨٠) في قوله: ﴿وإنا لموسعون﴾ احتمالين، فقال: «وقوله: ﴿لموسعون﴾ يحتمل أن يريد: إنّا نوسع الأشياء قوة وقدرة، كما قال تعالى: ﴿على الموسع قدره﴾ [البقرة: ٢٣٦] أي: الذي يوسع أهله إنفاقًا، ويحتمل أن يريد: لموسعون في بناء السماء، أي: جعلناها واسعة».

ونقل عن الحسن قوله: «أوسع الرزق بمطر السماء».

وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ (48).

وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا.

أي: وبَسَطْنا الأرضَ وجعَلْناها كالفِراشِ؛ لِيَسهُلَ على الخَلْقِ الانتِفاعُ بها.

كما قال تعالى: الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا [البقرة: 22].

وقال سُبحانَه: وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ [الغاشية: 20].

فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ.

أي: فنِعْمَ الماهِدونَ نحنُ؛ حيث جعَلْنا الأرضَ مَهْدًا لأهْلِها، بتَسويتِها وإصلاحِها!

وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (49).

أي: وخَلَقْنا مِن كُلِّ شَيءٍ صِنفَينِ؛[47] لعَلَّكم تَتذَكَّرونَ بذلك وَحدانيَّةَ اللهِ تعالى، وكَمالَ قُدرتِه على بَعثِ عِبادِه، أو غيرِ ذلك.

---

(47) في قوله: ﴿خلقنا زوجين﴾ قولان: الأول: ومن كل شيء خلقنا نوعين مختلفين؛ كالشقاء والسعادة، والهدى والضلالة، ونحو ذلك.

الثاني: عنى بالزوجين: الذكر والأنثى.

وقد رجّح ابنُ جرير (٢١/ ٥٤٨) -مستندًا إلى دلالة العقل- القول الأول، فقال: «وأولى القولين في ذلك قول مجاهد، وهو أن الله -تبارك وتعالى- خلق لكل ما خلق مِن خلْقه ثانيًا له مخالفًا في معناه، فكلّ واحد منهما زوج للآخر، ولذلك قيل: خلقنا زوجين، وإنما نبّه -جلّ ثناؤه- بذلك من قوله على قدرته على خلْق ما يشاء خلْقه مِن شيء، وأنّه ليس كالأشياء التي شأنها فعل نوع واحد دون خلافه؛ إذ كل ما صفته فعل نوع واحد دون ما عداه كالنار التي شأنها التسخين، ولا تصلح للتبريد،

كما قال تعالى: وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ [الرعد: 3].

وقال سُبحانَه: سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ [يس: 36].

وقال عزَّ وجلَّ: وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى [النجم: 45].

فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ (50).

فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ.

أي: قُلْ –يا محمَّدُ– لِقَومِك: فاهرُبوا إلى اللهِ تعالى؛ بالإيمانِ به، والعَمَلِ بطاعتِه، والتَّوبةِ إليه، والتَّوكُّلِ عليه.

عن البَراءِ بنِ عازِبٍ رَضِيَ اللهُ عنهما: أنَّ النَّبيَّ – ﷺ – قال له: ((إذا أخَذْتَ مَضجَعَك فتَوضَّأْ وُضوءَك للصَّلاةِ، ثمَّ اضطَجِعْ على شِقِّك الأيمنِ، ثمَّ قُلْ: اللَّهمَّ إنِّي أسلَمتُ وَجهي إليك، وفوَّضتُ أمري إليك، وألجأتُ ظَهري إليك؛ رَغبةً ورَهبةً إليك، لا مَلْجأَ ولا مَنجى مِنك إلَّا إليك، آمَنْتُ بكِتابِك

وكالثلج الذي شأنه التبريد، ولا يصلح للتسخين، فلا يجوز أن يوصف بالكمال، وإنما كمال المدح للقادر على فعل كلّ ما شاء فعله مِن الأشياء المختلفة والمتفقة».

الَّذي أنزَلْتَ، وبنَبِيِّكَ الَّذي أرسَلْتَ، واجعَلْهُنَّ مِن آخِرِ كَلامِك؛ فإنْ مِتَّ مِن لَيلتِكَ مِتَّ وأنت على الفِطرةِ)). [48]

إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ.

أي: إنِّي لكم مِنَ اللهِ نَذيرٌ واضِحُ النِّذارةِ، فأُحَذِّرُكم وأخَوِّفُكم عِقابَه على الكُفرِ به ومَعصيتِه!

كما قال تعالى: قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ [الحج: 49].

ثمَّ ذكَر اللهُ تعالى أعظَمَ ما يَجِبُ أن يَفِرَّ المرءُ منه، وهو الشِّرْكُ، فقال تعالى:

وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ (51).

وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ.

أي: ولا تَجعَلوا مع اللهِ مَعبودًا آخَرَ، بل أخْلِصوا له العِبادةَ، ولا تُشرِكوا به شَيئًا.

كما قال تعالى: وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا [النساء: 36].

---

(48) أخرجه البخاريُّ (247)، ومسلمٌ (2710) واللَّفظُ له.

إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ.

أي: إِنِّي لكم مِنَ اللهِ نَذيرٌ واضِحُ النِّذارةِ، فأُحَذِّرُكم وأُخَوِّفُكم مِن عِبادتِكم غَيرَه.

سورةُ الذَّارِياتِ

الآيات (52–55)

كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (52) أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ (53) فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ (54) وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ (55)

غريب الكلمات:

أَتَوَاصَوْا بِهِ: أي: أَأَوصى بَعضُهم بعضًا بهذه المقالةِ، وتواطَؤوا عليها، وأصلُ (وصي): يدُلُّ على وَصْلِ شَيءٍ بشَيءٍ، ومنه الوصِيَّةُ، كأنَّه كلامٌ يُوصَى، أيْ: يُوصَلُ.

طَاغُونَ: أي: مُتَجاوِزونَ حُدودَ اللهِ بالعِصيانِ، وأصلُ الطُّغيانِ: مُجاوَزةُ الحَدِّ.

فَتَوَلَّ: أي: فأعرِضْ؛ فالتَّوَلِّي إذا عُدِّيَ بـ (عن) لَفظًا أو تقديرًا اقتَضى معنى الإعراضِ.

الذِّكْرَى: أي: التَّذكيرَ، وأصلُ (ذكر) هنا: يدُلُّ على خِلافِ النِّسيانِ.

تفسير الآيات:

كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (52).

أي: مِثْلَ[49] ما كذَّبَتْ قُرَيشٌ نَبِيَّها ووصَفَتْه بأوصافٍ باطِلةٍ كَذَّبَ كُفَّارُ الأُمَمِ الماضيةِ مِن قبْلِ قُرَيشٍ رُسُلَهم، فقالت كُلُّ أُمَّةٍ منهم لِرَسولِهم: هو ساحِرٌ أو مجنونٌ!

أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ (53).

أَتَوَاصَوْا بِهِ.

أي: هل أوصَى الكُفَّارُ بَعضُهم بَعضًا بذلك القَولِ، فاتَّفَقت كَلِمتُهم على تَكذيبِ رُسُلِهم، ووَصْفِهم بالسِّحرِ أو الجُنونِ؟!

بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ.

أي: لم يُوصِ الكُفَّارُ بَعضُهم بَعضًا بذلك، وإنَّما اتَّفَقَت أقوالُهم في هذا الشَّأنِ؛ لاشتِراكِهم في صِفةِ الطُّغيانِ، فجَميعُهم مُتعَدُّونَ أمْرَ اللهِ، مُتجاوِزونَ لحُدودِه، لا يأتَمِرون بأَمْرِه، ولا يَنتَهُون عن نَهْيِه.

(49) قال ابنُ عطية (٨/ ٨١): «وقوله تعالى: ﴿كذلك﴾ تقديره: سيرة الأمم كذلك، أو الأمر في القديم كذلك. وقوله: ﴿إلا قالوا ساحر أو مجنون﴾ معناه: إلا قال بعض هذا، وبعض الجميع، ألا ترى أنّ قوم نوح لم يقولوا قط: ساحر. وإنما قالوا: ﴿به جنة﴾ [سبأ: ٨]! فلما اختلف الفرق جعل الخبر عن ذلك بإدخال ﴿أو﴾ بين الصفتين، وليس المعنى أنّ كلّ أمة قالت عن نبيها: إنه ساحر أو هو مجنون، فليست هذه كالمتقدمة في فرعون، بل هذه كأنه قال: إلا قالوا: هو ساحر، وهو مجنون».

كما قال تعالى: كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ [البقرة: 118].

فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ (54).

فَتَوَلَّ عَنْهُمْ.

أي: فأعرِضْ –يا محمَّدُ– عن هؤلاء المكَذِّبينَ المُعانِدينَ للحَقِّ رَغْمَ ظُهورِه، وقيامِ الحُجَّةِ عليهم.(50)

كما قال تعالى: فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ [الصافات: 174].

فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ.

أي: فلَسْتَ بمَلُومٍ مِنَ اللهِ؛ فقد بلَّغْتَهم رِسالةَ رَبِّهم، ونصَحْتَ لهم، ولم يقَعْ مِنك تَفريطٌ في دَعوتِهم.

---

(50) ذكر ابنُ عطية (٨/ ٨١) في معنى الآية احتمالين، فقال: «وقوله تعالى: ﴿فتول عنهم﴾ أي: عن الحرص المُفرط عليهم، وذهاب النفس حسرات.

ويحتمل أن يراد: فتولّ عن التعب المفرط في دعائهم وضمهم إلى الإسلام، فلست بمصيطر عليهم، ولست بملوم إذ قد بلغت، فنحّ نفسك عن الحزن عليهم، وذكِّر فقط، فإن الذكرى نافعة للمؤمنين، ولمن قضي له أن يكون منهم في ثاني حال».

ثم علّق على الاحتمال الثاني، فقال: «وعلى هذا التأويل فلا نسخ في الآية، إلا في معنى الموادعة التي فيها، فإن آية السيف نسخَتْ جميع الموادعات».

وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ (55).

أي: وذكِّرْ -يا محمَّدُ- فإنَّ التَّذكيرَ يَنفعُ حَقًّا أهلَ الإيمانِ.

كما قال تعالى: فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى * سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى [الأعلى: 9، 10].

سورةُ الذَّارِياتِ

الآيات (56–60)

وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (56) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ

(57) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (58) فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِثْلَ ذَنُوبِ

أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ (59) فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ (60)

غريب الكلمات:

الْمَتِينُ: أي: الشَّديدُ القَوِيُّ، وأصلُ (متن): يدُلُّ على صَلابةٍ.

ذَنُوبًا: أي: نَصيبًا وحَظًّا مِنَ العَذابِ، مَأخوذٌ مِن مُقاسَمةِ السُّقاةِ الماءَ بالذَّنوبِ، والذَّنُوبُ في كَلامِ العَرَبِ: الدَّلْوُ العَظيمةُ، ولا تُسَمَّى ذَنُوبًا إلَّا إذا كانت مَلْأَى، وأصلُ (ذنب) هنا: يدُلُّ على الحَظِّ والنَّصيبِ.

فَوَيْلٌ: أي: عَذابٌ وهَلاكٌ. وقيلَ: وَيْلٌ: وادٍ في جهنَّمَ.

تفسير الآيات:

وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (56).

أي: وما خَلَقْتُ الجِنَّ والإنسَ إلَّا مِن أجْلِ عِبادتي وَحْدي؛ لِيَتذلَّلوا ويَخضَعوا لي بطاعتي.[51]

---

(51) اختُلف في قوله: ﴿وما خلقت الإنس والجن إلا ليعبدون﴾ على أقوال: الأول: إلا ليُقِرّوا ويُذعنوا بالعبودية طوعًا أو كرهًا.

الثاني: وما خلقت السعداء من الجن والإنس إلا لعبادتي، والأشقياء منهم لمعصيتي.

الثالث: إلا ليعرفوني.

الرابع: الآية خاصة في أهل الإيمان، والمعنى: وما خلقت الطائعين من الجن والإنس إلا لعبادتي.

وقد ذكر ابنُ عطية (٨/ ٨٢) القول الأول، وعلّق عليه، فقال: «قال ابن عباس وعلي بن أبي طالب – رضي الله عنهما –: المعنى: ما خلقت الجن والإنس إلا لآمرهم بعبادتي، وليُقِرّوا لي بالعبودية، فعبّر عن ذلك بقوله: ﴿ليعبدون﴾ إذ العبادة هي مضمون الأمر».

وعلّق على القول الرابع بقوله: «ويؤيد هذا التأويل أن ابن عباس روى عن النبي – ﷺ – أنه قرأ: (وما خَلَقْتُ الجِنَّ والإنسَ مِنَ المُؤْمِنِينَ إلّا لِيَعْبُدُونِي)».

وعلّق ابنُ تيمية (٦/ ١١٦) على القولين الأول والثالث، فقال: «فعلى هذه الأقوال أن جميع الإنس والجن عبدوه وعرفوه ووحّدوه وأقرُّوا له بالعبودية طوعًا وكرهًا».

ولم يذكر ابنُ جرير غير القولين الأولين، ثم رجّح (٢١/ ٥٥٥) القول الأول مستندًا إلى الدلالة العقلية، فقال: «وأولى القولين في ذلك بالصواب القول الذي ذكرنا عن ابن عباس، وهو: ما خلقت الجن والإنس إلا لعبادتنا، والتذلل لأمرنا.

فإن قال قائل: فكيف كفروا وقد خلقهم للتذلل لأمره؟ قيل: إنهم قد تذللوا لقضائه الذي قضاه عليهم؛ لأن قضاءه جارٍ عليهم، لا يقدرون من الامتناع منه إذا نزل بهم، وإنما خالفه مَن كفر به في العمل بما أمره به، فأما التذلل لقضائه فإنه غير ممتنع منه».

وأورد ابنُ تيمية (٦/ ١١٧) توجيه ابن جرير لترجيحه، ونسَبه للثعلبي، ثم انتقده مستندًا إلى الدلالة العقلية، وظاهر القرآن، والسياق، فقال: «وهذا المعنى –وإن كان في نفسه صحيحًا، وقد نازعت القدرية في بعضه– فليس هو المراد بالآية، فإن جميع المخلوقات –حتى البهائم والجمادات– بهذه المنزلة.

وأيضًا فالعبادة المذكورة في عامة المواضع في القرآن لا يراد بها هذا المعنى.

كما قال الله تعالى: إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا [الكهف: 7].

وقال الله سُبحانه وتعالى: أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ * فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ * وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ [المؤمنون: 115 – 117].

وقال عزَّ وجلَّ: الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا [الملك: 2].

وقال تبارك وتعالى: أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى [القيامة: 36].

وأيضًا فإن قوله: ﴿ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين﴾ دليل على أنه خلقهم ليعبدوه، لا ليرزقوا ويُطعموا، بل هو المُطعم الرازق، وإطعامه لهم ورزقه إياهم هو من جملة تدبيرهم وتصـــريفهم، الذي قد جعله أهل هذا القول عبادةً له، فتكون العبادة التي خُلقوا لها كونهم مرزوقين مُدبَّرين، وهذا باطل.

وأيضًا فقوله: ﴿ليعبدون﴾ يقتضي فعلًا يفعلونه هم، وكونه يربّيهم ويخلقهم ليس فيه إلا فِعله فقط، ليس في ذلك فعل لهم».

وانتقد كذلك القول الرابع، فقال: «ويلي هذا القول في الضـعف قول مَن يقول: إن الآية خاصـة فإنه هذه أقوال ضـعيفة».وذكر ابنُ عطية في الآية احتمالًا آخر، فقال: «وتحتمل الآية أن يكون المعنى: ما خلقت الجن والإنس إلا مُعدّين ليعبدون».

وعلّق عليه بقوله: «وكأن الآية تعديد نعمة، أي: خلقت لهم حواس وعقولًا وأجســـامًا منقادة نحو العبادة، وهذا كما تقول: البقر مخلوقة للحرْث، والخيل للحرب، وقد يكون منها ما لا يُحارب به أصـــلًا، فالمعنى: أن الإعداد في خلْق هؤلاء إنما هو للعبادة، لكن بعضهم تكسب صرف نفسه عن ذلك، ويؤيد هذا المنزع قول النبي – ﷺ –: «اعملوا فكلٌّ مُيسَّرٌ لما خُلق له».

وقوله: «كلّ مولود يولد على الفطرة»».

مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ (57).

أي: ما أُريدُ مِن الجِنِّ والإنسِ أيَّ رِزقٍ؛ لا لي، ولا لأنفُسِهم، ولا لغيرِهم، ولا أريدُ منهم أن يُطعِموني؛ لأنِّي مُنزَّهٌ عن الأكلِ، ولا أن يُطعِموا أنفُسَهم ولا غيرَهم، فلْيَشتغِلوا بعبادتي.(52)

كما قال تعالى: وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى * وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى [طه: 131، 132].

وقال سُبحانَه: وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ [الأنعام: 14].

وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: ((دعا رجُلٌ مِنَ الأنصارِ مِن أهلِ قُباءٍ النَّبيَّ - ﷺ -، فانطلَقْنا معه، فلمَّا طَعِمَ وغَسَل يَدَه أو يَدَيه قال: الحَمدُ للهِ الَّذي يُطعِمُ ولا يُطعَمُ، مَنَّ علينا فهَدانا، وأطعَمَنا وسَقانا، وكُلَّ بلاءٍ حَسَنٍ أبلانا، الحَمدُ لله غيرَ مُودَّعٍ ولا مُكافَأٍ، ولا مَكفورٍ ولا مُستَغنًى عنه، الحَمدُ

---

(52) ذكر ابنُ عطية (٨/ ٨٢) في الآية احتمالين: الأول: «أن يكون المعنى: أن يُطعموا خلقي».
ووجّهه بقوله: «فأضيف ذلك إلى الضمير على جهة التجوز.
وهذا قول ابن عباس».
الثاني: «أن يكون الإطعام هنا بمعنى النفع على العموم».
ووجّهه بقوله: «كما تقول: أعطيتُ فلانًا كذا وكذا طعمة، وأنت قد أعطيتَه عرضًا أو بلدًا يجبيه، ونحو هذا، فكأنه قال: ولا أريد أن ينفعوني، فذكر جزءًا من المنافع وجعله دالًّا على الجميع».

لله الَّذي أطعَمَ مِنَ الطَّعامِ، وسَقى مِنَ الشَّرابِ، وكسَا مِنَ العُرْيِ، وهَدى مِنَ الضَّلالةِ، وبصَّرَ مِنَ العَمَى، وفضَّلَ على كثيرٍ مِنْ خَلْقِه تفضيلًا، الحَمدُ للهِ رَبِّ العالَمينَ)).[53]

إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (58).

إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ.

أي: إنَّ اللهَ وَحْدَه هو الرَّزَّاقُ لجَميعِ خَلْقِه؛ فهم المحتاجُونَ إليه في جميعِ أحوالِهم.

كما قال الله تعالى: وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا [هود: 6].

ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ.

أي: وهو صاحِبُ القُوَّةِ التَّامَّةِ، الشَّديدُ القُوَّةِ.

فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ (59).

أي: فإنَّ للَّذينَ ظَلَموا فأشرَكوا باللهِ مِن قُرَيشٍ أو غَيرِهم نَصيبًا وافِرًا مِن عذابِ اللهِ تعالى مِثلَ نَصيبِ أمثالِهم مِن كُفَّارِ الأُمَمِ الماضيةِ؛ فلا يَستعجِلوني بالعَذابِ؛ فإنَّه نازِلٌ بهم في وَقتِه المُقَدَّرِ له لا مَحالةَ.

---

(53) أخرجه النَّسائي في ((السنن الكبرى)) (10133) واللَّفظُ له، وابنُ حِبَّان (5219)، والحاكِمُ (2003).
صَحَّحه ابنُ حبَّانَ، والحاكِمُ وقال: (على شرطِ مسلمٍ).
وأحمد شاكر في ((عمدة التفسير)) (765/1)، وصَحَّح إسنادَه على شرطِ مسلمٍ شعيبٌ الأرناؤوط في تخريج ((صحيح ابن حبان)) (5219).

فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ (60).

أي: فعَذابٌ وهَلاكٌ للَّذينَ كَفَروا بالحَقّ مِنَ اليَومِ الَّذي وعَدَهم اللهُ بنُزولِ العَذابِ فيه![54]

كما قال تعالى: أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ * أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ * ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ * مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ [الشعراء: 204 – 207].

وقال سُبحانَه: يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ * خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ [المعارج: 43، 44].

وقال تبارَك وتعالى: فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ [ص: 27]

وقال عزَّ شأنُه: وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ [إبراهيم: 2].

وقال عزَّ وجلَّ: وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ [المرسلات: 15].

---

(54) نقل ابنُ عطية (٨/ ٨٤) في وقت الوعيد قولين، فقال: «وقال جمهور المفسّرين: هذا التوعّد هو بيوم القيامة. وقال آخرون –ذكره الثعلبي–: هو بيوم بدر».

تَفْسِيرُ
سُورَةِ الطُّورِ

سورةُ الطُّورِ

سورةُ الطُّورِ

سُمِّيت هذه السُّورةُ بسُورةِ (الطُّورِ)، (55) وممَّا يدُلُّ على ذلك:

1- عن جُبَيرِ بنِ مُطعِمٍ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: ((سَمِعتُ رَسولَ اللهِ - ﷺ - قرَأَ في المَغرِبِ بـ «الطُّورِ»)). (56)

2- عن أمِّ سَلَمةَ رَضِيَ اللهُ عنها، قالت: ((شَكَوتُ إلى رَسولِ اللهِ - ﷺ - أنِّي أشتكي، فقال: طوفي مِن وراءِ النَّاسِ وأنتِ راكِبةٌ، فطُفتُ ورَسولُ اللهِ - ﷺ - يُصَلِّي إلى جَنبِ البَيتِ يَقرَأُ بـ «الطُّورِ وكتابٍ مَسطورٍ»)). (57)

سورةُ الطُّورِ مَكِّيَّةٌ، نَقَل الإجماعَ على ذلك غيرُ واحدٍ مِن المفَسِّرينَ. (58)

---

(55) سُمِّيَتْ سورةَ الطُّورِ؛ لِمُفتَتَحِها بقَولِه تعالى: وَالطُّورِ [الطور: 1].

يُنظر: ((بصائر ذوي التمييز)) للفيروزابادي (441/1).

(56) أخرجه البخاريُّ (765) واللَّفظُ له، ومسلمٌ (463).

(57) أخرجه البخاريُّ (4853) واللَّفظُ له، ومسلمٌ (1276).

(58) ممَّن نقل الإجماعَ على ذلك: ابنُ عطية، وابن الجوزي، والقرطبيُّ، والفيروزابادي، والبِقاعي.

مِن أهمِّ مَقاصدِ هذه السُّورةِ:

إقامةُ الأدِلَّةِ على أنَّ العِبادةَ لا تكونُ إلَّا لله تعالى وَحْدَه، وعلى أنَّ البَعث حَقٌّ.

مِن أبرزِ المَوضوعاتِ الَّتي تناولَتْها هذه السُّورةُ:

1- افتُتِحَت هذه السُّورةُ بالقَسَمِ مِنَ اللهِ تعالى ببَعضِ مَخلوقاتِه على أنَّ البَعثَ والجزاءَ كِلاهما حَقٌّ.

2- إبطالُ مَزاعِمِ المُكَذِّبينَ، ووعيدُهم بعذابِ النَّارِ.

3- بيانُ ما أعَدَّه اللهُ سُبحانَه لعبادِه المُتَّقينَ.

4- ذِكرُ طَرَفٍ مِن قَصَصِ الأنبياءِ: إبراهيمَ، ولُوطٍ، وهُودٍ، وصالحٍ، ومُوسى، ونُوحٍ، عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ.

5- ذِكرُ ما يدُلُّ على كمالِ قُدرةِ اللهِ تعالى، وعلى سَعةِ رَحمتِه.

6- تقريرُ أنَّ اللهَ ما خَلَقَ الجِنَّ والإنسَ إلَّا لعبادتِه.

7- توعُّدُ المُشرِكينَ بأنْ يَنالَهم نَصيبٌ مِنَ العَذابِ مِثلُ نَصيبِ نُظَرائِهم مِنَ المكَذِّبينَ، ووَعيدُ الكافِرينَ مِن يَومِهم الَّذي يُوعَدونَ.

يُنظر: ((تفسير ابن عطية)) (5/166)، ((تفسير ابن الجوزي)) (4/175)، ((تفسير القرطبي)) (17/58)، ((بصائر ذوي التمييز)) للفيروزابادي (1/441)، ((مصاعد النظر)) للبقاعي (3/27).

ذكر ابن عطية (٨/ ٨٥) أن هذ السورة مكية بإجماع من المفسرين والرواة.

سورةُ الطُّورِ

الآيات (1–8)

وَالطُّورِ (1) وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ (2) فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ (3) وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ (4) وَالسَّقْفِ
الْمَرْفُوعِ (5) وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ (6) إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ (7) مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ (8)

غريب الكلمات:

وَالطُّورِ: أي: الجَبَلِ الَّذي كَلَّم اللهُ عليه موسى عليه السَّلامُ. وقيل: هو اسمٌ لكُلِّ جَبَلٍ، وأصلُ (طور): يدُلُّ على الامتِدادِ في شَيءٍ مِن مكانٍ أو زمانٍ.

مَسْطُورٍ: أي: مَكتوبٍ محفوظٍ، وأصْلُ (سطر): يدُلُّ على اصطِفافِ الشَّيءِ.

رَقٍّ: الرَّقُّ: الَّذي يُكتَبُ فيه، قيل: هو الوَرقُ، وقيل: هو ما كان مِن الجِلدِ، وقيل: كلُّ ما يُكتَبُ فيه مِن صحيفةٍ وغيرِها. والرِّقَّةُ متى كانت في جِسمٍ تُضادُّها الصَّفاقةُ، نحو: ثوبٌ رَقِيقٌ وصفيقٌ، ومتى كانت في نفْسٍ تُضادُّها الجَفوةُ والقسوةُ.

مَنْشُورٍ: أي: مَبْسوطٍ، ونَشَرَ الثَّوبَ، والصَّحِيفةَ، والسَّحَابَ، والنِّعْمَةَ، والحَدِيثَ: بَسَطَهَا، وأصْلُ (نشر): يدُلُّ على فتْحِ شَيءٍ وتَشعُّبِه.

الْمَسْجُورِ: أي: المَملوءِ؛ يُقالُ: سَجرَ الإناءَ: إذا مَلأَه.

وقيل: المُوقَدُ المُحمَى، بمَنزلةِ التَّنُّورِ المسجورِ، وأصلُ (سجر): يدُلُّ على المَلْءِ والإيقادِ.

تفسير الآيات:

وَالطُّورِ (1).

أي: أُقسِمُ بجَبَلِ طُورِ سَيناءَ الَّذي كلَّم اللهُ عليه موسى عليه السَّلامُ.

كما قال الله تعالى عن موسى عليه السَّلامُ: وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ [مريم: 52].

وقال سُبحانَه: وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا [القصص: 46].

وقال عزَّ وجلَّ: وَطُورِ سِينِينَ [التين: 2].

وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ (2).

أي: وأُقسِمُ بكِتابٍ مُسطَّرٍ مَكتوبٍ.(59)

فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ (3).

أي: والكِتابِ المَسطورِ في وَرَقٍ مَبسوطٍ غيرِ مَطْوِيٍّ.

---

(59) ذكر ابنُ عطية (٨/ ٨٥ – ٨٦) أن الكتاب المسطور معناه بإجماع: المكتوب أسطارًا.

وذكر ابنُ القيم (٣/ ٥١) قولًا بأن الكتاب هو اللوح المحفوظ، وانتقده مستندًا لظاهر الآيات، فقال: «وهذا غلط؛ لأنه ليس برَقٍّ».

وبيّن أن قول مقاتل أصح منه، ثم رجَّح القول بأنه الكتاب المنزل من عند الله، فقال: «الظاهر أن المراد به: الكتاب المنزل من عند الله، وأقسم الله به لعظمته وجلالته، وما تضمّنه من آيات ربوبيته، وأدلة توحيده، وهداية خلْقه».

وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ (4).

أي: وأُقسِمُ بالبيتِ المعمورِ بالملائِكةِ في السَّماءِ.(60)

عن مالكِ بنِ صَعْصَعةَ رَضِيَ اللهُ عنه: أنَّ النَّبيَّ - ﷺ - قال في حديثِ الإسراءِ: ((... ثمَّ رُفِعَ لِيَ البَيتُ المعمورُ، فقُلتُ: يا جِبريلُ، ما هذا؟ قال: هذا البَيتُ المعمورُ يَدخُلُه كُلَّ يومٍ سَبعونَ ألْفَ مَلَكٍ، إذا خَرَجوا منه لم يَعودوا فيه آخِرَ ما عليهم!)).(61)

وعن أنسِ بنِ مالِكٍ رَضِيَ اللهُ عنه، أنَّ رسولَ اللهِ - ﷺ - قال في حديثِ الإسراءِ: ((... ففُتِحَ لنا فإذا أنا بإبراهيمَ - ﷺ - مُسنِدًا ظَهْرَه إلى البَيتِ المَعمورِ، وإذا هو يَدخُلُه كُلَّ يومٍ سَبعونَ ألْفَ مَلَكٍ لا يعودونَ إليه!)).(62)

وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ (5).

أي: وأُقسِمُ بالسَّماءِ الَّتي رفَع اللهُ بُنْيانَها، وجعَلَها سَقفًا للأرضِ مِن جميعِ جَوانِبِها.

---

(60) اختُلف في البيت المعمور على قولين: الأول: أنه البيت في السماء.

الثاني: أنه البيت الحرام.

وذكر ابنُ القيم (٣/ ٥٢) أن المشـــهور هو القول الأول، ثم علَّق بقوله: «ولا ريب أنّ كلًّا منهما معمور، فهذا معمور بالملائكة وعبادتهم، وهذا معمور بالطائفين والقائمين والرُّكع والسجود، وعلى كلا القولين فكل منهما سيّد البيوت».

(61) أخرجه البخاريُّ (3207)، ومسلمٌ (164) واللَّفظُ له.

(62) أخرجه مسلم (162).

كما قال تعالى: اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا [الرعد: 2].

وقال سُبحانَه: وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا [الأنبياء: 32].

وقال عزَّ وجلَّ: وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا [الرحمن: 7].

وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ (6).

أي: وأُقسِمُ بالبَحرِ المسجورِ.(63)

---

(63) ذكر ابنُ عطية (٨/ ٨٨)، وكذا ابنُ كثير (١٣/ ٢٢٨) أن الجمهور على أنه بحر الدنيا، ثم علَّق ابنُ عطية بقوله: «ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿وإذا البِحارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير: ٦]».

اختُلف في المراد بالمسجور على أقوال: الأول: أنه المملوء.

الثاني: الموقد.

الثالث: الذي ذهب ماؤه.

الرابع: المحبوس.

وعلَّق ابنُ عطية (٨/ ٨٧) على القول الأول الذي قاله قتادة، وسفيان، والكلبي، والحسن، ومجاهد، بقوله: «وهذا معروف من اللغة».

وذكر ابنُ القيم (٣/ ٥٣) أنه قول جميع أهل اللغة.

وبيّن ابنُ جرير (١٥/ ٥٦٩ - ٥٧٠ بتصرف) أن «السجر» في اللغة مستعمل في معنيي الامتلاء والإيقاد، ثم رجَّح -مستندًا إلى دلالة اللغة، والعقل- أنه المملوء، فقال: «فإذا كان ذلك الأغلب من معاني السَّجر، وكان البحر غير موقد اليوم، وكان الله -تعالى ذكره- قد وصفه بأنه مسجور، فبطل عنه إحدى الصفتين، وهو الإيقاد صحت الصفة الأخرى التي هي له اليوم، وهو الامتلاء؛ لأنه كل وقت ممتلئ».

ورأى ابنُ عطية (٨/ ٧٨) أنه لا تعارض بين القول بأنه المملوء أو القول بأنه المُوقَد، فقال: «لأنّ قولهم: سجرتُ التنّور، معناه: ملأتها بما يحترق ويتّقد».

ورجَّح ابنُ القيم (٣/ ٥٤) القول الثاني مستندًا إلى دلالة اللغة، والقرآن، فقال: «وأقوى الأقوال في المسجور: أنه المُوقَد. وهذا هو المعروف في اللغة من المسجور، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وإذا البحار سجرت﴾ [التكوير: ٦]».

وبيّن أنه لا يعارض القول الأول ولا الثالث.

إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ (7).

أي: أُقسِمُ بتلك الأشياءِ على أنَّ عذابَ ربِّك –يا محمَّدُ– لَواقِعٌ ونازِلٌ حتمًا بمَن يَستحِقُّه.

كما قال تعالى: إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ * وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ [الذاريات: 5، 6].

وقال سُبحانَه: إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ [المرسلات: 7].

مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ (8).

أي: ما لِذلك العَذابِ مِن دافعٍ يَدفَعُه عن أهلِه، فيُنقِذُهم منه!

كما قال الله تبارك وتعالى: سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ * لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ [المعارج: 1، 2].

ثم جمع بين الأقوال كلها بقوله: «وإذا اعتبرتَ أسـلوب القرآن ونظْمه ومفرداته رأيتَ اللفظة تدل على ذلك كلّه، فإن البحر محبوس بقدرة الله، ومملوء ماء، ويذهب ماؤه يوم القيامة ويصير نارًا، فكلٌّ من المفسرين أخذ معنى من هذه المعاني».

سورةُ الطُّورِ

الآيات (9–16)

يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا (9) وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا (10) فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (11) الَّذِينَ
هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ (12) يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا (13) هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا
تُكَذِّبُونَ (14) أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ (15) اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا
سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (16)

غريب الكلمات:

تَمُورُ: أي: تَدورُ، وتتحَرَّكُ، وتَضطَرِبُ بما فيها، وأصلُ (مور): يدُلُّ على ترَدُّدٍ.

خَوْضٍ: أي: تَكذيبٍ، وتَخَبُّطٍ في الأباطيلِ، والخَوضُ: الشُّروعُ في الماءِ والمرورُ فيه، ويُطلَقُ على الدُّخولِ في الأمرِ بالقَولِ، وأكثَرُ ما وردَ في القُرآنِ وردَ فيما يُذَمُّ الشُّروعُ فيه، وأصلُ (خوض): يدُلُّ على توسُّطِ شَيءٍ ودُخولٍ.

يُدَعُّونَ: أي: يُدفَعونَ بشِدَّةٍ، والدَّعُّ في اللُّغةِ: الدَّفعُ في قَسوةٍ وعُنفٍ، وأصلُ (دعع): يدُلُّ على دَفعٍ.

اصْلَوْهَا: أي: ادخُلوها، وذُوقوا حَرَّها، وأصلُ الصَّليِ: الإيقادُ بالنَّارِ، وأصلُ (صلى) هنا: النَّارُ وما أشبَهَها مِن الحمَّى.

تفسير الآيات:

يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا (9).

أي: يومَ تتحَرَّكُ السَّماءُ وتَضطَرِبُ، وتَذهَبُ وتَجيءُ،[64] وذلك كائِنٌ يومَ القِيامةِ!

وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا (10).

أي: وتَذهَبُ الجِبالُ وتَزولُ عن أماكِنِها، فتَصيرُ هَباءً!

كما قال تعالى: وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ [الكهف: 47].

وقال سُبحانَه: وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا * فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا * لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا [طه: 105 – 107].

وقال جَلَّ شأنُه: وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا [النبأ: 20].

وقال تبارك وتعالى: وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ [التكوير: 3].

فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (11).

(64) ساق ابنُ القيم (٣/ ٥٥) ما جاء في تفسير المور، ثم قال: «والتحقيق أنه حركة في تموّج وتكفؤ وذهاب ومجيء؛ ولهذا فرق بين حركة السماء وحركة الجبال، فقال: ﴿وتَسِيرُ الجبالُ سَيْرًا﴾، وقال: ﴿وإذا الجِبالُ سُيِّرَتْ﴾ [التكوير: ٣] من مكان إلى مكان، وأما السماء فإنها تتكفّأ، وتموج، وتذهب، وتجيء».

أي: فعَذابٌ وهَلاكٌ شَديدٌ في ذلك اليومِ للمُكَذِّبينَ بالحَقِّ!

الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ (12).

أي: الَّذين هم في الدُّنيا مُنغَمِسونَ في الباطِلِ، فيَتخَبَّطونَ فيه بأقوالِهم وأفعالِهم، غافِلونَ عن الآخِرةِ.

كما قال تعالى: وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ [الأنعام: 68].

يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا (13).

أي: يومَ يُدفَعُونَ إلى نارِ جَهنَّم دَفعًا شَديدًا عَنيفًا!

هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ (14).

أي: ويُقالُ لهم: هذه هي النَّارُ الَّتي كُنتُم في الدُّنيا تُكذِّبونَ بها، ولا تُصدِّقونَ الرُّسُلَ الَّذين أخبَرَوكم بها.

كما قال تعالى: كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ [السجدة: 20].

أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ (15).

أي: أهذا الَّذي تَرَونَه الآنَ سِحرٌ لا حقيقةَ له، أم أنتم لا تُبصِرونه بأعيُنِكم؟!

اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (16).

اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ.

أي: ادخُلوا النَّارَ وذُوقُوا حَرَّها، فسَواءٌ عليكم الصَّبرُ والجَزَعُ؛ فإنَّكم لن تنتَفِعوا في جميعِ الأحوالِ بالصَّبرِ ولا بالجَزَعِ!

قال تعالى حاكيًا عن أهلِ النَّارِ قولَهم: سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ [إبراهيم: 21].

إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ.

أي: إنَّما تُعذَّبونَ في النَّارِ بسَبَبِ ما كنتُم تَعمَلونَه في الدُّنيا مِنَ الكُفرِ والتَّكذيبِ؛ فالأمرُ جارٍ عليكم بالعَدلِ، ولم يَظلِمْكم اللهُ شَيئًا!

كما قال الله تبارك وتعالى: إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا * لِلطَّاغِينَ مَآبًا * لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا * لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا * إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا * جَزَاءً وِفَاقًا * إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا * وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا * وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا * فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا [النبأ: 21 – 30].

سورةُ الطُّورِ

الآيات (17–21)

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ (17) فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ
(18) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (19) مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ
بِحُورٍ عِينٍ (20) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ
عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ (21)

غريب الكلمات:

فَاكِهِينَ: أي: ناعِمينَ مُستَمتِعينَ، وأصلُ (فكه): يدُلُّ على طِيبٍ واستِطابةٍ.

هَنِيئًا: أي: طَيِّبًا، مُستَساغًا، لا يُكَدِّرُه شَيءٌ، والهَنِيءُ: الطَّيِّبُ المُساغُ الَّذي لا يُنغِّصُه شَيءٌ، وأصلُ (هنأ): يدُلُّ على إصابةِ خَيرٍ مِن غيرِ مَشقَّةٍ.

بِحُورٍ عِينٍ: الحَوراءُ: البَيضاءُ، أو: الشَّديدةُ بَياضِ العَينِ الشَّديدةُ سوادِها، والعِينُ: جَمعُ عَيناءَ، وهي: الواسِعةُ العَينَينِ مِنَ النِّساءِ.

أَلَتْنَاهُمْ: أي: نَقَصْناهم وظَلَمْناهم، وأصلُ (ألت): يدُلُّ على نَقصٍ.

رَهِينٌ: أي: مُرتَهَنٌ بكَسبِه، مأخوذٌ بعَمَلِه؛ إمَّا خَلَّصَه وإمَّا أوبَقَه، ورَهينٌ: فَعيلٌ بمعنى مَفعولٍ؛ مِنَ الرَّهنِ: وهو الحَبسُ.

تفسير الآيات:

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ (17).

أي: إنَّ الَّذين اتَّقوا سَخطَ اللهِ وعَذابَه، بامتِثالِ ما أمَرَ به، واجتِنابِ ما نهى عنه: في بَساتينَ ونعيمٍ عَظيمٍ في الآخِرةِ.

فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (18).

فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ.

أي: مُعجَبينَ بما أعطاهم رَبُّهم في الجنَّةِ مِنَ النَّعيمِ، ومُتَمتِّعينَ به، فَرِحينَ مَسرورينَ بذلك.

وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ.

القِراءاتُ ذاتُ الأثَرِ في التَّفسيرِ:

1- قِراءةُ فَكِهِينَ قيلَ: بمعنى: فَرِحينَ أو مُعجَبِينَ. وقيل: بمعنى: يتفَكَّهونَ، أي: يَستَطيبونَ ويَسْتَحْلونَ.[65]

---

(65) قرأ بها أبو جعفرٍ.
يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (354/2).
ويُنظر لمعنى هذه القراءة: ((تفسير السمعاني)) (271/5)، ((تفسير ابن الجوزي)) (527/3، 528)، ((الدر المصون)) للسمين (623/9).
ويُنظر أيضًا: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (446/4).

2– قِراءةُ فَاكِهِينَ بألفٍ بعد الفاءِ، قيل: بمعنى: أصحابِ فاكِهةٍ. وقيل: ناعِمينَ. وقيل: القِراءتانِ بمعنًى واحدٍ، مِثلُ: حاذِرينَ وحَذِرينَ.(66)

وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ.

أي: وقد نجَّاهم اللهُ مِن عذابِ النَّارِ.

كما قال تعالى: فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا [الإنسان: 11].

كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (19).

أي: يُقالُ للمُتَّقينَ: كُلُوا مِن طَعامِ الجنَّةِ، واشرَبوا مِن شَرابِها، مُتهَنِّئينَ بذلك بلا أذًى ولا تنغيصٍ، ولا نَكَدٍ ولا كَدَرٍ؛ بسَبَبِ ما كنتُم تَعملونه في الدُّنيا مِنَ الصَّالحاتِ.

كما قال تعالى: كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ [الحاقة: 24].

وقال سُبحانَه: إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ * وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ [المرسلات: 41 – 44].

---

(66) قرأ بها الباقون.

يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (354/2، 355).

ويُنظر لمعنى هذه القراءة: ((تفسير السمعاني)) (271/5)، ((تفسير ابن الجوزي)) (527/3)، ((الدر المصون)) للسمين (623/9).

مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ (20).

مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ.

أي: مُتَّكِئِينَ على سُرُرٍ قد جُعِلَت صُفوفًا!

وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ.

أي: وزوّجْنا المتَّقينَ بنِساءٍ بِيضٍ، شَديدٍ سوادُ أعيُنِهِنَّ وبَياضُها، عظيماتِ الأعيُنِ معَ حُسنِها واتِّساعِها.(67)

كما قال تعالى: إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ * هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ [يس: 55، 56].

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ (21).

---

(67) ذكر ابنُ القيم (٣/ ٥٧) عن بعض اللغويين أن معنى ﴿زوجناهم﴾: قرنّاهم بهنّ، وليس من عقد التزويج.
وبيّن أنهم احتجّوا على هذا بأن العرب لا تقول: تزوّجت بها، وإنما تقول تزوّجتها.
وذكر أن مجاهدًا قال: زوّجناهم بهنّ، أي: أنكحناهم إياهنّ.
ثم بيّن أنّ كلا القولين واحد، فقال: «قلت: وعلى هذا فتلويح فعل التزويج قد دلّ على النكاح، وتعديته بالباء المتضمنة معنى الاقتران والضم؛ فالقولان واحد».

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ.

أي: والَّذين آمَنوا ألحَقْنا بِهِم أولادَهم الَّذين اتَّبَعوهم على الإيمانِ، فجعَلْناهم معهم في دَرَجاتِهِم في الجنَّةِ، وإنْ لم يَعمَلوا كعَمَلِ آبائِهم.(68)

(68) اختُلف في معنى هذه الآية على أقوال: الأول: أنّ الله يُدخل الذّرية الجنة بإيمان الأباء تكرمة للآباء، وإن لم تبلغ ذُرّيتهم عملهم.

الثاني: والذين آمنوا وأتبعناهم ذُرّياتهم التي بلغت الإيمان بإيمان، ألحقنا بهم ذُرّياتهم الصغار التي لم تبلغ الإيمان، وما ألتنا الآباء من عملهم من شيء.

الثالث: والذين آمنوا واتّبعتهم ذُرّيتهم الصغار، وما ألتنا الكبار من عملهم من شيء.

الرابع: أعطيناهم من الثواب مثل الآباء.

وساق ابنُ عطية (٨/ ٩٢ – ٩٣) الأقوال، ثم علَّق بقوله: «قوله: ﴿بِإِيمَانٍ﴾ هو في موضع الحال، فمَن رأى أنّ الآية في الأبناء الصغار، فالحال من الضمير في قوله: ﴿اتَّبَعَتْهُمْ﴾ فهو من المفعولين.

ومَن رأى أنّ الآية في الأبناء الكبار فيحتمل أن تكون الحال من المفعولين، ويحتمل أن تكون من المتبعِين الفاعلين».

وبنحوه قال ابنُ القيم (٣/ ٦٠).ورجَّح ابن جرير (٢١/ ٥٨٣) –مستندًا إلى الأغلب لغة– القول الأول الذي قاله ابن عباس من طريق سعيد بن جُبَير، فقال: «وأولى هذه الأقوال بالصواب وأشبهها بما دلّ عليه ظاهر التنزيل، القول الذي ذكرنا عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس،...

لأن ذلك الأغلب من معانيه، وإن كان للأقوال الأُخَر وجوه».ورجّح ابن عطية (٨/ ٩٣) القول الأول –مستندًا إلى اللغة والسياق– فقال: «وأرجح الأقوال في هذه الآية القول الأول؛ لأن الآيات كلها في صفة إحسان الله –تعالى– إلى أهل الجنة فذكر من جملة إحسانه أنه يرعى المحسِن في المسيء، ولفظة ﴿أَلْحَقْنا﴾ تقتضي أنّ للملحَق بعض التقصير في الأعمال»، وذكر أنه قول الجمهور.

وعرض ابن القيم (٣/ ٦٢) الأقوال وناقشها، ثم رجَّح –مستندًا إلى الدلالة العقلية–، اختصاص الذُّرية بالصغار، فقال: «واختصاص الذرية هاهنا بالصغار أظهر؛ لئلا يلزم استواء المتأخّرين بالسابقين في الدرجات، ولا يلزم مثل هذا في الصغار، فإن أطفال كل رجل وذُرّيته معه في درجته، والله أعلم».وذكر ابن كثير (١٣/ ٢٣٣) أن القول الثاني الذي قاله ابن عباس من طريق العَوفيّ، والضَّحّاك، راجع إلى القول الأول؛ إذ هو أصرح في التفسير من الثاني.

القِراءاتُ ذاتُ الأثَرِ في التَّفسيرِ:

1- قِراءةُ وَأَتْبَعْنَاهُمْ بنِسبةِ الفِعلِ إلى اللهِ تعالى، بمعنى: أتْبَعْنا أولادَهم بهم.(69)

2- قِراءةُ وَاتَّبَعَتْهُمْ بنِسبةِ الفِعلِ إلى الذُّرِّيَّةِ، بمعنى: اتَّبَعَ الأولادُ آباءَهم على الحَقِّ، فآمَنوا به مِثلَهم.(70)

وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ.

أي: وما نَقَصْنا الآباءَ مِن أُجورِ أعمالِهم الصَّالِحةِ شَيئًا حينَ جعَلْنا ذُرِّيَّتَهم معهم في الجنَّةِ!

---

(69) قرأ بها أبو عَمرٍو البَصْريُّ.

يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (377/2).

ويُنظر لمعنى هذه القراءةِ: ((معاني القراءات)) للأزهري (33/3)، ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: 682)، ((أحكام القرآن)) لابن العربي (167/4).

(70) قرأ بها الباقون.

يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (377/2).

ويُنظر لمعنى هذه القراءةِ: ((معاني القراءات)) للأزهري (33/3)، ((الحجة في القراءات السبع)) لابن خالويه (ص: 333)، ((أحكام القرآن)) لابن العربي (167/4).

قال ابن زنجلة: (قَولُه: وَاتَّبَعَتْهُمْ وَأَتْبَعْنَاهُمْ يَتداخلانِ تَداخُلَ يُدْخَلُونَ الْجَنَّةَ ويَدْخُلُونَ الجَنَّةَ؛ لأنَّ اللهَ تعالى إذا أتْبَعَهم ذرِّيَّتَهم اتَّبَعَتْهم).

((حجة القراءات)) (ص: 682).

اختُلِف في قراءة قوله: ﴿واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم﴾؛ فقرأ قوم: ﴿ذريتهم﴾ الأولى على التوحيد والثانية على الجمع، وقرأ غيرهم: ﴿واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم﴾ كلتيهما بإفراد، وقرأ آخرون: «وأَتْبَعْناهُمْ ذُرِّيّاتِهِم بإيمانٍ ألحَقْنا بِهِمْ ذُرِّيّاتِهِم».

ورجَّح ابنُ جرير (٢١/ ٥٨٤) صحتهما جميعًا مستندًا إلى شهرتهما، وتقارب معناهما، فقال: «والصواب من القول في ذلك أنّ جميع ذلك قراءات معروفات مستفيضات في قراءة الأمصار، متقاربات المعاني؛ فبأيتها قرأ القارئ فمصيب».

وساق ابنُ عطية (٨/ ٩١ - ٩٢) هذه القراءات ثم علَّق بقوله: «فلكون» الذرية «جمعًا في نفسه حسُن الإفراد في هذه القراءات، ولكون المعنى يقتضي انتشارًا وكثرة حسُن جمع الذرية في قراءة من قرأ: «ذُرِّيّاتِهِم»».

كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ.

أي: كُلُّ نفْسٍ تَنالُ جَزاءَها وَفْقَ ما عَمِلَت في الدُّنيا، وكُلُّ إنسانٍ يُعاقَبُ بذُنوبِه، ولا يُؤاخَذُ بذَنْبِ غَيرِه ولو كان مِن أقارِبِه.

كما قال تعالى: وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى [فاطر: 18].

سورةُ الطُّورِ

الآيات (22-28)

وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ (22) يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ (23) وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ (24) وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (25) قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ (26) فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ (27) إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ (28)

غريب الكلمات:

يَتَنَازَعُونَ: أي: يَتعاطَونَ ويَتداوَلون؛ هذا يأخُذُ مِن يَدِ هذا، وهذا يأخُذُ مِن يَدِ هذا، كالشَّيءِ المُتنازَعِ فيه، وأصلُه مِن نَزْعِ الدَّلوِ مِنَ البِئرِ عندَ الاستِقاءِ؛ فإنَّ النَّاسَ كانوا إذا وَرَدوا للاستِقاءِ نَزَعَ أحَدُهم دَلوًا مِنَ الماءِ، ثمَّ ناوَلَ الدَّلْوَ لِمَن حَوْلَه.

لَغْوٌ: أي: باطِلٌ مِن القَولِ يَصدُرُ عن خَلَلِ العَقلِ، وأصلُه يدُلُّ على الشَّيءِ لا يُعتَدُّ به.

تَأْثِيمٌ: أي: ما يُؤَثِّمُهم مِن فِعلٍ أو قَولٍ، مِثلُ الضَّربِ والشَّتمِ وغَيرِهما، وأصلُ (أثم): يدُلُّ على بُطءٍ وتأخُّرٍ؛ لأنَّ ذا الإثمِ بَطيءٌ عن الخَيرِ، مُتأخِّرٌ عنه.

مَكْنُونٌ: أي: مَصونٌ مَستورٌ، وأصلُ (كنن): يدُلُّ على سَترٍ أو صَونٍ.

مُشْفِقِينَ: أي: خائِفينَ حَذِرينَ، وأصلُ (شفق): يدُلُّ على رِقَّةٍ في الشَّيءِ.

فَمَنَّ: أي: أنْعَمَ، وصنَعَ الصُّنعَ الجَميلَ، وأصلُ (منن) هنا: يدُلُّ على اصطِناعِ الخَيرِ.

السَّمُومِ: أي: النَّارِ الحارَّةِ، وأصلُه اسمُ الرِّيحِ الَّتي تَهُبُّ مِن جِهةٍ حارَّةٍ جِدًّا، فتكونُ جافَّةً شَديدةَ الحرارةِ؛ سُمِّيت سَمومًا لدُخولِها بلُطفٍ في مَسامِّ البَدَنِ.

الْبَرُّ: أي: اللَّطيفُ الواسِعُ الفَضلِ، الصَّادقُ فيما وعَدَ، وأصلُ (برر) هنا: يدُلُّ على الصِّدقِ والسَّعةِ؛ فأمَّا الصِّدقُ فمِنْه قولُهم: صدَقَ فُلانٌ وبَرَّ، وبرَّتْ يمينُه: صدَقَت، وأمَّا السَّعةُ فهو مِن البَرِّ الَّذي هو خِلافُ البَحرِ، وتُصُوِّرَ منه التَّوسُّعُ، فاشتُقَّ منه البِرُّ، أي: التَّوسُّعُ في فِعلِ الخَيرِ.

تفسير الآيات:

وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ (22).

أي: وزِدْنا المؤمنينَ في الجنَّةِ مِن فَضْلِنا، فأعطَيْناهم فاكِهةً ولحمًا ممَّا يَشتَهونه ويَستَلِذُّونه.

كما قال الله تبارك وتعالى: وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ * وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ [الواقعة: 20، 21].

وقال سبحانه: وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ * لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ [الواقعة: 32، 33].

يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ (23).

يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا.

أي: يَتعاطَونَ فيها كأسَ الشَّرابِ المملوءةَ بالخَمرِ.

لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ.

أي: لا يَقَعُ منهم بسَبَبِ الشُّربِ هَذَيانٌ وكَلامٌ لا فائِدةَ منه، ولا يأثَمُ شارِبُها بِشُرْبِها، ولا يُؤثِّمُه أحدٌ، ولا يحمِلُه شُرْبُها على أنْ يَفعلَ إثمًا، بخِلافِ خَمرِ الدُّنيا.

قال تعالى: يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ * بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ * لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ [الصافات: 45 - 47].

وقال سُبحانَه: وَكَأْسًا دِهَاقًا * لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا [النبأ: 34، 35].

وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ (24).

أي: ويَطوفُ على المؤمِنينَ في الجنَّةِ غِلمانٌ لخِدمتِهم، وهم في حُسْنِهم وبياضِهم، وصَفائِهم وبهائِهم ونظافتِهم: مِثلُ اللُّؤلؤِ المصُونِ في صَدَفِه.

كما قال تعالى: يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ * بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ * لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ * وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ * وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ [الواقعة: 17 – 21].

وقال الله تبارك وتعالى: وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا [الإنسان: 19].

وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (25).

أي: وأقبَلَ بَعضُ أهلِ الجنَّةِ على بَعضٍ يتحادَثونَ فيما بَيْنَهم، ويَتساءَلونَ عن أحوالِهم الَّتي كانوا عليها في الدُّنيا.

قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ (26).

أي: قال بَعضُهم لِبَعضٍ: إنَّا كُنَّا في الدُّنيا بيْنَ أهلِنا خائِفينَ وحَذِرينَ مِن عَذابِ اللهِ يومَ القيامةِ!

كما قال تعالى: الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ [الأنبياء: 49].

وقال سُبحانَه: وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ [المعارج: 27].

فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ (27).

أي: فمَنَّ اللهُ علينا بفَضلِه فهَدانا، ونجَّانا مِن عَذابِ النَّارِ.

إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ (28).

إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ.

أي: إنَّا كُنَّا في الدُّنيا نَدعو اللهَ تعالى وَحْدَه دعاءَ عبادةٍ ودعاءَ مسألةٍ، ونتضَرَّعُ إليه؛ فأجاب دُعاءَنا فوَقانا عذابَ السَّمومِ، وأدخَلَنا دارَ النَّعيمِ.

كما قال تعالَى: إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ [الأنبياء: 90].

وقال سُبحانَه: تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ [السجدة: 16].

إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ.

أي: إنَّ اللهَ تعالى هو اللَّطيفُ بعبادِه، الواسِعُ الإحسانِ، البالِغُ الرَّحمةِ بهم.

سورةُ الطُّورِ

الآيات (29-36)

فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ (29) أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ
الْمَنُونِ (30) قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ (31) أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ
قَوْمٌ طَاغُونَ (32) أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ (33) فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا
صَادِقِينَ (34) أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (35) أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ (36)

غريب الكلمات:

بِكَاهِنٍ: الكاهِنُ: هو الَّذي يُوهِمُ أنَّه يَعلمُ الغيبَ مِن غيرِ وحيٍ، وقيل: هو مَن يدَّعي عِلمَ الغَيبِ في المستقبَلِ. وقيل: هو الَّذي يُخبِرُ بالأخبارِ الماضيةِ الخَفيَّةِ بضَربٍ مِنَ الظَّنِّ.

نَتَرَبَّصُ: أي: نَنتَظِرُ، وأصل (ربص): يدُلُّ على الانتِظارِ.

رَيْبَ الْمَنُونِ: أي: حوادِثَ الدَّهرِ وأوجاعَه ومصائِبَه؛ مِن قَولِهم: رابَه الأمرُ رَيبًا، أي: نابَه وأصابَه، والمَنُونُ: الدَّهرُ، وأصلُه مِنَ المَنِّ بمعنى القَطعِ؛ وذلك أنَّه يَقطَعُ الأعمالَ والأجَلَ، والمَنُونُ كذلك: المَوتُ؛ لأنَّه يَقطَعُ الأجَلَ.

أَحْلَامُهُمْ: أي: عُقولُهم، والعَقلُ والحِلمُ مِن بابٍ واحِدٍ مِن حيثُ المعنى؛ لأنَّ العَقلَ يَضبِطُ المرءَ فيَكونُ كالبَعيرِ المَعقولِ، والحِلمُ أيضًا سَبَبُ وَقارِ المَرءِ وثَباتِه، وقيل: الحِلْمُ: ضبْطُ النَّفْسِ والطَّبعِ عن هَيجانِ الغضبِ، ويُفَسَّرُ الحِلمُ بالعقلِ، لِكَونِه مِن مُسبَّباتِ العقلِ، وأصلُ (حلم) هنا: يدُلُّ على تَركِ العَجَلةِ.

طَاغُونَ: أي: مُجاوِزونَ الحَدَّ في العِنادِ والكفرِ، وأصلُ (طغى): مُجاوَزةُ الحَدِّ.

تَقَوَّلَهُ: أي: اختَلَقَه وافتَعَله وافتَرَاه، والتَّقَوُّلُ أصلُه تَكَلُّفُ القولِ، ولا يُستعمَلُ إلَّا في الكذِبِ في الغالِبِ، وأصلُ (قول): يدُلُّ على النُّطقِ.

يُوقِنُونَ: أي: يَعلَمونَ عِلمًا مُتمَكِّنًا في نُفوسِهم لا يَدخُلُه شَكٌّ، وأصلُ اليَقينِ: يدُلُّ على زَوالِ الشَّكِّ.

تفسير الآيات:

فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ (29).

أي: فذكِّرِ النَّاسَ -يا محمَّدُ- بالقُرآنِ؛ فلَسْتَ -بإنعامِ اللهِ عليك- بكاهِنٍ تدَّعي عِلمَ الغَيبِ، ولستَ بمَجنونٍ فاقدٍ للعَقلِ كما يَزعُمونَ، بلْ ما تَقولُه وَحْيٌ مِنَ اللهِ تعالى.

كما قال تعالى: وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ * وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ [الحاقة: 41، 42].

وقال سُبحانَه: وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ [التكوير: 22].

أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ (30).

أي: أم يَقولُ مُشرِكو قُرَيشٍ: مُحمَّدٌ شاعِرٌ ننتَظِرُ به حوادِثَ الدَّهرِ وقوارِعَه، فيَموتُ ويَهلِكُ كما هَلكَ مَن قَبْلَه مِنَ الشُّعراءِ، ونَستريحُ منه ومِن شَأنِه؟![71]

---

(71) جمع ابنُ جرير (٢١/ ٥٩٢) بين تفسير ريب المنون بالموت، أو بحوادث الدهر، فذكر أن المعنى: بل يقول المشركون: هو شاعر نتربّص به حوادث الدهر، يكفيناه بموت أو حادثة مُتلفة.

ثم قال: «وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل، وإن اختلفت عباراتهم عنه».

وقال ابنُ عطية (٨/ ٩٦): «و﴿المَنُون﴾ من أسماء الموت.

وبه فسّر ابن عباس.

ومن أسماء الدهر أيضًا.

وبه فسّر مجاهد».

قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ (31).

أي: قُلْ -يا محمَّدُ- لأولئك المُشرِكينَ: انتظِروا ما يُصيبُني مِنَ الهَلاكِ؛ فإنِّي أيضًا مِنَ المُنتَظِرين ما يُصيبُكم مِن عذابِ اللهِ، وسنَعلَمُ لِمَن تكونُ العاقِبةُ الحَسَنةُ!

كما قال تعالى: قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ [التوبة: 52].

أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ (32).

أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا.

أي: هل أمَرَتْهم عُقولُهم بهذا التَّكذيبِ للرَّسولِ، ووَصْفِه بالباطِلِ؟!

أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ.

أي: أمْ هم قَومٌ تجاوَزوا حُدودَ اللهِ، فحَمَلَهم طُغيانُهم هذا على تَكذيبِ الرَّسولِ، ورَمْيِه بالباطِلِ؟!

أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ (33).

أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ.

أي: أم يقولُونَ: اختَلَقَ محمَّدٌ القُرآنَ مِن تِلْقاءِ نَفْسِه، ونَسَبَه إلى اللهِ تعالى كَذِبًا؟!

كما قال تعالَى: أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ [يونس: 38].

وقال سُبحانَه: أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ [السجدة: 3].

بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ.

أي: ليس الأمرُ كما يَقولُونَ، بل هم غَيرُ مُؤمِنينَ بالحَقِّ الَّذي جاءَهم مِنَ اللهِ تعالى، ولو آمَنوا لَمَا قالوا ما قالوا.

قال الله تبارك وتعالى: فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ [الأنعام: 33].

ثمَّ ردَّ الله عليهم جميعَ ما زعَموا وتحدَّاهم في دحضِ ما قالوا، فقال:

فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ (34).

أي: فلْيَأْتِ المُشرِكونَ بمِثْلِ هذا القُرآنِ إن كانوا صادِقينَ في دَعواهم أنَّ مُحمَّدًا افتَراه وتقوَّلَه مِن عندِ نَفْسِه، فإنْ عَجَزوا عن ذلك فإنَّهم كاذِبونَ.

كما قال تعالى: أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ [هود: 13، 14].

أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (35).

لَمَّا كَذَّبوا النَّبيَّ - ﷺ - ونَسَبوه إلى الكِهانةِ والجُنونِ والشِّعرِ، وبَرَّأه اللهُ مِن ذلك؛ ذكَرَ الدَّليلَ على صِدقِه إبطالًا لتَكذيبِهم، وبَدَأ بأنفُسِهم، كأنَّه يقولُ: كيف يُكَذِّبونَه وفي أنفُسِهم دَليلُ صِدقِه؟!

ما ورد في هذه الآيةِ والآيتَينِ بعدَها:

عن جُبَيرِ بنِ مُطعِمٍ رضيَ اللهُ عنه، قال: ((سَمِعتُ النَّبيَّ - ﷺ - يَقرَأُ في المَغرِبِ بالطُّورِ، فلمَّا بَلَغ هذه الآيةَ: أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ * أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَا يُوقِنُونَ * أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ قال: كاد قَلْبي أن يَطيرَ!))[72].[73]

وفي روايةٍ قال: (وذلك أوَّلَ ما وقَرَ[74] الإيمانُ في قلبي.[75]

---

(72) قال الخَطَّابي: (إنَّما كان انزِعاجُه عندَ سَماعِ هذه الآيةِ لحُسنِ تَلَقِّيه معنى الآيةِ، ومَعرفتِه بما تضَمَّنَتْه مِن بليغِ الحُجَّةِ، فاستَدرَكَها واستَشَفَّ مَعناها بذَكِيِّ فَهْمِه).

((أعلام الحديث)) (1912/3).

وقال ابن عثيمين: («كاد قلبي يطيرُ»؛ لقُوَّةِ هذا الدَّليلِ المُفحِمِ المُقنِعِ حتَّى دخَل الإيمانُ في قَلبِه، ثمَّ اطمأنَّ الإيمانُ في قلبِه بعدَ ذلك؛ لأنَّ هذه الآيةَ دليلٌ واضِحٌ على أنَّ الخَلْقَ حادِثٌ بعدَ أنْ لم يكُنْ، وأنَّ الَّذي أحدَثَه هو اللهُ).

((فتح ذي الجلال والإكرام)) (90/2).

(73) أخرجه البخاريُّ (4854) واللَّفظُ له، ومسلمٌ (463) مختصرًا.

(74) وقَر: أي: ثبَت.

يُنظر: ((التوضيح لشرح الجامع الصحيح)) لابن الملقن (99/21).

(75) قال ابنُ كثيرٍ: (وجُبَيْرُ بنُ مُطعِمٍ كان قد قدِم على النَّبيِّ - ﷺ - بعدَ وَقعةِ بَدْرٍ في فِداءِ الأُسارَى، وكان إذ ذاك مُشرِكًا، وكان سَماعُه هذه الآيةَ مِن هذه السُّورةِ مِن جُملةِ ما حَمَلَه على الدُّخولِ في الإسلامِ بعدَ ذلك).

((تفسير ابن كثير)) (437/7).

أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ.

أي: أم خُلِق أولئك المُشرِكونَ مِن غَيرِ خالِقٍ(76) يخلُقُهم؟!

أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ.

أي: أم هم الخالِقونَ لأنفُسِهم أو لِغَيرِهم مِنَ المخلوقاتِ؟!

قال تعالى: أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا [مريم: 67].

وقال القَسْطَلَّاني: (وقد كان حِينَئذٍ كافِرًا، ولم يَنطِقْ بالإسلامِ والتزَمَ أحكامَه إلَّا عندَ فَتحِ مكَّةَ).
((إرشاد الساري)) (273/6).أخرجها البخاري (4023).

(76) قال عبد الله بن عباس: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِن غَيْرِ شَيْءٍ﴾ من غير ربٍّ.
تفسير البغوي ٧/ ٣٩٢.
ساق ابنُ تيمية (٦/ ١٢٣) هذا القول، ثم ذكر أنه قيل: من غير مادة.
وقيل: من غير عاقبة وجزاء.
ثم علَّق بقوله: «والأول مراد قطعًا؛ فإنّ كل ما خُلق من مادة أو لغاية فلا بُدَّ له من خالق».
وذكر أن الأكثرين على هذا القول، كما قال تعالى: ﴿وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه﴾ [الجاثية: ١٣]، وكما قال تعالى: ﴿وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه﴾ [النساء: ١٧١]، وقال تعالى: ﴿وما بكم من نعمة فمن الله﴾ [النمل: ٥٣].
وانتقد القول بأنّه مِن غير مادة مستندًا للسياق، والدلالة العقلية، فقال: «وهذا ضعيف؛ لقوله بعد ذلك: ﴿أم هم الخالقون﴾ فدلّ ذلك على أن التقسيم أم خُلقوا من غير خالق أم هم الخالقون؟ ولو كان المراد من غير مادة لقال: أم خُلقوا من غير شيء أم من ماء مهين؟ فدلّ على أن المراد أنّا خالقهم لا مادتهم.
ولأنّ كونهم خُلقوا من غير مادة ليس فيه تعطيل وجود الخالق، فلو ظنّوا ذلك لم يقدح في إيمانهم بالخالق، بل دلّ على جهلهم، ولأنهم لم يظنّوا ذلك، ولا يوسوس الشيطان لابن آدم بذلك، بل كلّهم يعرفون أنهم خُلقوا من آبائهم وأمهاتهم، ولأن اعترافهم بذلك لا يوجب إيمانهم، ولا يمنع كفرهم.
والاستفهام استفهام إنكار، مقصوده تقريرهم أنهم لم يُخلقوا من غير شيء، فإذا أقرُّوا بأنّ خالقًا خلقهم نفعهم ذلك، وأما إذا أقرُّوا بأنهم خُلقوا من مادة لم يُغن ذلك عنهم من الله شيئًا».

وقال تبارك وتعالى: هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا [الإنسان: 1].

أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَا يُوقِنُونَ (36).

أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ.

أي: أمْ[77] هم الَّذين خَلَقوا السَّمَوات والأرضَ؟!

قال تعالى: وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ [لقمان: 25].

بَل لَا يُوقِنُونَ.

أي: لم يَخلُقِ المُشرِكونَ ذلك، ولكِنْ عَدَمُ يَقينِهم بالحَقِّ هو الَّذي حمَلَهم على تَرْكِه، والوُقوعِ في الباطِلِ.

(77) ذكر ابنُ عطية (٨/ ٩٨) أن ﴿أمْ﴾ المتكررة في هذه الآية قدّرها بعض النحاة بألف الاستفهام، وقدّرها مجاهد بـ: بل.

ثم علَّق بقوله: «والنظر المحرر في ذلك أنّ منها ما يتقدر بـ» بل والهمزة «على حد قول سيبويه في قولهم: إنها لإبلٌ أم شاء.

ومنها ما هي معادلة، وذلك قوله: ﴿أمْ هُمْ قَوْمٌ طاغُونَ﴾».

سورةُ الطُّورِ

الآيات (37–43)

أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ (37) أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ
مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (38) أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ (39) أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ
مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ (40) أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ (41) أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا
هُمُ الْمَكِيدُونَ (42) أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (43)

غريب الكلمات:

الْمُسَيْطِرُونَ: أي: المُسَلَّطونَ الجبَّارونَ الحَفَظةُ؛ مَأخوذٌ مِن تَسطيرِ الكِتابِ الَّذي يَحفَظُ ما كُتِبَ فيه.

سُلَّمٌ: أي: دَرَجٌ، والسُّلَّمُ: ما يُتوصَّلُ به إلى الأمكنةِ العاليةِ، فيُرْجَى به السَّلامةُ، ثمَّ جُعِل اسمًا لكلِّ ما يُتوصَّلُ به إلى شَيءٍ رَفيعٍ كالسَّببِ، وأصلُ (سلم): يدُلُّ على الصِّحَّةِ والعافيةِ.

بِسُلْطَانٍ: أي: بحُجَّةٍ ظاهِرةٍ، وسُمِّيتِ الحُجَّةُ سُلطانًا؛ لِمَا يَلحَقُ مِن الهُجومِ على القُلوبِ، وأصلُ (سلط): يدُلُّ على القُوَّةِ والقَهرِ.

مَغْرَمٍ: أي: غُرمٍ، وهو: ما يَنوبُ الإنسانَ في مالِه مِن ضَرَرٍ لغَيرِ جِنايةٍ منه أو خيانةٍ، وأصلُ (غرم): يدُلُّ على مُلازَمةٍ.

كَيْدًا: أي: مَكْرًا، والكَيْدُ ضَرْبٌ مِن الاحتيالِ، وقدْ يكونُ مَذمومًا ومَمدوحًا، وإنْ كان يُستعمَلُ في المذمومِ أكثَرَ، وأصلُ (كيد): يدُلُّ على مُعالَجةٍ لشَيءٍ بشِدَّةٍ، وكلُّ شَيءٍ تُعالِجُه فأنتَ تَكيدُه.

تفسير الآيات:

أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ (37).

أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ.

أي: أم عندَ أولئك المُشرِكينَ خزائنُ الله[78] –يا محمَّدُ– مِن الرَّحمةِ والأرزاقِ وغيرِ ذلك؟!

قال تعالى: أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ [ص: 9].

أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ.

أي: أم هم المُتسلِّطونَ في الدُّنيا بتدبيرِ الأُمورِ، وقَهرِ النَّاسِ، والتَّصرُّفِ في إعطائِهم ومَنْعِهم؟![79]

أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (38).

أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ.

---

(78) نقل ابنُ عطية (٨/ ٩٩) عن الزهراوي أنه قال: يريد بالخزائن: العلم.

وعلَّق عليه بقوله: «وهذا قول حسن إذا تؤمّل وبُسط».

(79) اختُلف في المراد بـ ﴿المصيطرون﴾ على أقوال: الأول: أنهم المُسلّطون.

الثاني: المُنزلون.

الثالث: الأرباب.

ورجَّح ابنُ جرير (٢١/ ٥٩٨) –مستندًا إلى اللغة، والنظائر– القول الأول الذي قاله ابن عباس من طريق علي، ومقاتل، فقال: «وذلك أن المسيطر في كلام العرب: الجبّار المتسلّط، ومنه قول الله: ﴿لست عليهم بمصيطر﴾ [الغاشية: ٢٢]، يقول: لست عليهم بجبّار متسلّط».

أي: أم لهم سُلَّمٌ يَصعَدونَ به إلى السَّماءِ؛ لِيَستَمِعوا فيه إلى الوَحيِ أو الغَيبِ؟!

فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ.

أي: فلْيَأْتِ مَن استمَعَ منهم إذَنْ بحُجَّةٍ ظاهِرَةٍ تُبيِّنُ أنَّهم على الحَقِّ فيما يَدَّعُونَ.

أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ (39).

أي: أمْ للهِ -سُبحانَه- البَناتُ، كما ادَّعيتُم وزَعمتُم أنَّ الملائِكةَ بَناتُ اللهِ، ولكم البَنونَ الَّذين تُفضِّلونَهم على البَناتِ، فنَسَبتُم إلى اللهِ تعالى الأنقَصَ لَدَيكم؟!

قال تعالى: وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ [النحل: 57].

وقال الله سُبحانَه وتعالى: فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ * أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ * أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ * وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ * أَفَلَا تَذَكَّرُونَ [الصافات: 149 - 155].

أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ (40).

أي: أم تَسألُهم -يا مُحمَّدُ- مالًا مُقابِلَ دَعوتِك لهم إلى الحَقِّ، أو انقيادِهم إليه؛ فهم بسَبَبِ مَشقَّةِ ما كلَّفْتَهم مِن أموالٍ لا يَستَجيبونَ لك؟!

قال تعالى: وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ [يوسف: 104].

وقال سُبحانَه: قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ * إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ [ص: 86، 87].

أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ (41).

أي: أم عِندَ المُشرِكينَ عِلمُ ما غاب عنِ النَّاسِ، فهم يَكتُبونَه؟!

أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ (42).

أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا.

أي: أم يُريدُ أولئك أن يَكيدوا كَيدًا يُبطِلون به الحَقَّ؟!

فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ.

أي: فالَّذين كَفَروا هم الَّذين يُكادُ بهم في الحَقيقةِ، ووَبالُ كَيدِهم عائِدٌ على أنفُسِهم.

كما قال تعالى: وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ * وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ [الأعراف: 182، 183].

وقال سُبحانَه: إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا * وَأَكِيدُ كَيْدًا [الطارق: 15، 16].

أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (43).

أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ.

أي: أم لهم مَعبودٌ آخَرُ غَيرُ اللهِ يَستَحِقُّ العِبادةَ، فهم يَعبُدونَه؟!

كما قال تعالى: أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ [النمل: 61].

سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ.

أي: تنزَّه اللهُ عن أن يكونَ له شَريكٌ في العِبادةِ؛ فهو الواحِدُ الأحَدُ الَّذي لا مِثْلَ له ولا نِدَّ.

قال تعالى: اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ [الروم: 40].

سورةُ الطُّورِ

الآيات (44-49)

وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ (44) فَذَرْهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ
الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ (45) يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ (46) وَإِنَّ
لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (47) وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ
بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ (48) وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ (49)

غريب الكلمات:

كِسْفًا: أي: قِطْعةً أو قِطَعًا؛ يَجوزُ أنْ يكونَ وَاحِدًا، وأنْ يكونَ جمْعَ كِسْفَةٍ، مِثل سِدْرَةٍ وسِدْرٍ، وأمَّا (الكِسَف) -بفتْحِ السِّينِ- أي: القِطَعُ، فإنَّه جمْعُ كِسْفةٍ. والكِسْفةُ: القِطعةُ مِن الشَّيءِ، وأصلُ (كسف) هنا: يدُلُّ على قَطعِ شَيءٍ مِن شَيءٍ.

مَرْكُومٌ: أي: مُتراكِمٌ؛ بَعضُه فوقَ بَعضٍ، وأصلُ (ركم): يدُلُّ على تجَمُّعِ شَيءٍ.

يُصْعَقُونَ: أي: يَموتونَ ويُهلَكونَ، وقيل: يُعذَّبون، والصَّاعِقةُ: هي الصَّوتُ الشَّديدُ مِن الجوِّ، ثمَّ يكونُ منه نارٌ فقط، أو عذابٌ، أو موتٌ، وقيل: الصَّاعقةُ: كلُّ عَذابٍ مُهلِكٍ، أو: هي اسمٌ للعذابِ على أيِّ حالٍ كان، وأصلُ (صعق): يدُلُّ على شِدَّةِ الصَّوتِ.

تفسير الآيات:

وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ (44).

أي: وإنْ يَرَ المُشرِكونَ قِطَعًا من السَّماءِ ساقِطةً عليهم، يقولوا: هذا سَحابٌ تراكَم بعضُه على بَعضٍ، ولا يُؤمِنوا بأنَّه عذابٌ مِنَ اللهِ تعالى!

قال تعالى: أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ [سبأ: 9].

وقال سُبحانَه: وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا * أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا * أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا [الإسراء: 90 – 92].

وقال تعالى حكايةً عن قَولِ أصحابِ الأَيْكةِ لِشُعَيبٍ عليه السَّلامُ: قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ * وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ * فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ [الشعراء: 185 – 187].

فَذَرْهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ (45).

أي: فاترُكْ -يا محمَّدُ- هؤلاء المُشرِكِينَ المُعانِدين حتَّى يُلاقُوا اليَومَ الَّذي فيه يموتونَ ويهلكونَ.[80]

كما قال الله تعالى: فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ [الزخرف: 83].

يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ (46).

---

(80) اليوم الذي توعدوا به هو يوم القيامة، ونسبه ابنُ عطية (٨/ ١٠١) للجمهور، وعلَّق عليه بقوله: «لأن فيه صعقة تعمّ جميع الخلائق، لكن لا محالة أن بين صعقة المؤمن وصعقة الكافر فرْقًا».

وذكر قولين آخرين: الأول: أنه موتهم واحدًا واحدًا.

وعلَّق عليه بقوله: «وهذا على تجوّز».

الثاني: أنه يوم بدر؛ لأنهم عُذِّبوا فيه.

اختُلف في العذاب الذي توعّد الله به هؤلاء الظلمة من دون يوم الصعقة على أقوال: الأول: أنه عذاب القبر.

الثاني: الجوع.

الثالث: المصائب التي تصيبهم في الدنيا من ذهاب الأموال والأولاد.

الرابع: يوم بدر.

وجمع ابنُ جرير (٢١/ ٦٠٤ - ٦٠٥) بين الأقوال لدلالة العموم، فقال: «والصواب من القول في ذلك عندي أن يُقال: إنّ الله -تعالى ذكره- أخبر أنّ للذين ظلموا أنفسهم بكفرهم به عذابًا دون يومهم الذي فيه يُصعقون، وذلك يوم القيامة، فعذاب القبر دون يوم القيامة؛ لأنه في البرزخ، والجوع الذي أصاب كفار قريش، والمصائب التي تصيبهم في أنفسهم وأموالهم وأولادهم دون يوم القيامة، ولم يخصّص الله نوعًا من ذلك أنه لهم دون يوم القيامة دون نوع، بل عمّ فقال: ﴿وإن للذين ظلموا عذابا دون ذلك﴾ فكلّ ذلك لهم عذاب، وذلك لهم دون يوم القيامة».

وذكر ابنُ القيم (٣/ ٦٣) أن القول الأول الذي قاله ابن عباس من طريق عطية، وقتادة، والبراء، وزاذان، أظهر؛ لأنّ كثيرًا منهم مات، ولم يُعذّب في الدنيا.

ثم قال: «وقد يقال -وهو أظهر-: إنّ مَن مات منهم عُذّب في البرزخ، ومَن بقي منهم عُذّب في الدنيا بالقتل وغيره، فهو وعيد بعذابهم في الدنيا وفي البرزخ».

يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا.

أي: يومَ لا يَنفَعُهم كَيدُهم الَّذي كادوا به الحَقَّ شَيئًا!

كما قال الله تعالى: هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ * فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ [المرسلات: 38، 39].

وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ.

أي: ولا هم يُنصَرونَ؛ فيُنجِيَهم أحَدٌ مِن عَذابِه!

قال تعالى: يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ [الدخان: 41].

وقال سُبحانَه: فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ [الطارق: 10].

وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (47).

وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ.

أي: وإنَّ للَّذين ظَلَموا أنفُسَهم بالكُفرِ باللهِ تعالى عَذابًا قَبْل ذلك اليَومِ.

كما قال تعالى: سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ [التوبة: 101].

وقال سُبحانَه: وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ [السجدة: 21].

وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ.

أي: ولكِنَّ أكثَرَ الكافِرين لا يَعلَمونَ ما سيَصيرونَ إليه مِنَ العَذابِ الواقِعِ بهم لا مَحالةَ!

وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ (48).

وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا.

أي: واصبِرْ –يا محمَّدُ– لِحُكمِ ربِّك القَدَريِّ –ممَّا قدَّره عليك مِن ظُلمٍ يُصيبُك، وأذًى ينالُك– ولحُكمِه الشَّرعيِّ؛ بلُزومِه، والاستقامةِ عليه، وتبليغِ رسالةِ الله؛ فإنَّك بمَرأًى مِنَّا، نَحوطُك ونَحفَظُك مِن كُلِّ سُوءٍ وكَيدٍ.

كما قال تعالى: فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ * إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ [الحجر: 94، 95].

وقال سُبحانَه: فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ [الأحقاف: 35].

وقال تبارك وتعالى: وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا [المزمل: 10].

وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ.

أي: ونزِّهْ ربَّك –يا محمَّدُ– عن النَّقائِصِ تَنزيهًا مُقتَرِنًا بوَصفِه بصِفاتِ الكَمالِ مَحبَّةً وتَعظيمًا له؛ حينَ تَقومُ.(81)

---

(81) اختُلف في معنى التسبيح على قولين: الأول: أنه التسبيح بالكلام.
وبيّن ابنُ عطية (٨/ ١٠٢) أنّ مَن جعله التسبيح المعروف بالكلام جعل قوله: ﴿حين تقوم﴾ مثالًا، أي: حين تقوم وحين تقعد وفي كل تصرفك.

كما قال تعالى: فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى [طه: 130].

وبنحوه قال ابنُ تيمية (٦/ ١٢٥).

الثاني: أنه التسبيح حين القيام إلى الصلاة.

وهذا على قولين: الأول: أنها الصلوات المفروضة.

قاله الضَّحّاك.

الثاني: أنها النوافل.

قاله ابن زيد.

وذكر ابنُ عطية أنّ مَن قال إنها الصلوات المفروضة فقوله: ﴿حين تقوم﴾ الظهر والعصر، أي: حين تقوم من نوم القائلة، ﴿ومن الليل﴾ المغرب والعشاء، ﴿وإدبار النجوم﴾ الصبح، ومَن قال هي النوافل جعل ﴿وإدبار النجوم﴾ ركعتي الفجر.

وبنحوه قال ابنُ تيمية (٦/ ١٢٥).

ورجَّح ابنُ جرير (٢١/ ٦٠٦ – ٦٠٧) –مستندًا إلى الدلالة العقلية، والسياق– القول بأن التسبيح هو الصلاة، وأن قوله: ﴿حين تقوم﴾ المراد به: حين تقوم من نوم القائلة لصلاة الظهر.

فقال: «وإنما قلنا: عنى به القيام من نوم القائلة؛ لأنه لا صلاة تجب فرضًا بعد وقت من أوقات نوم الناس المعروف إلا بعد نوم الليل، وذلك صلاة الفجر، أو بعد نوم القائلة، وذلك صلاة الظهر؛ فلما أمر بعد قوله: ﴿وسبح بحمد ربك حين تقوم﴾ بالتسبيح بعد إدبار النجوم، وذلك ركعتا الفجر بعد قيام الناس مِن نومها ليلًا، عُلم أنّ الأمر بالتسبيح بعد القيام من النوم هو أمرٌ بالصلاة التي تجب بعد قيام من نوم القائلة على ما ذكرنا دون القيام من نوم الليل».

وانتقد ما قاله الضَّحّاك مستندًا للإجماع، فقال: «لأنّ الجميع مُجمِعون على أنه غير واجب أن يقال في الصلاة: سبحانك وبحمدك، وما رُوي عن الضَّحّاك عند القيام إلى الصلاة، فلو كان القول كما قاله الضَّحّاك لكان فرضًا أن يُقال؛ لأن قوله: ﴿وسبح بحمد ربك﴾ أمرٌ من الله تعالى بالتسبيح، وفي إجماع الجميع على أن ذلك غير واجب الدليل الواضح على أنّ القول في ذلك غير الذي قاله الضَّحّاك.

فإن قال قائل: ولعله أريد به الندب والإرشاد؛ قيل: لا دلالة في الآية على ذلك، ولم تقم حجة بأن ذلك معني به ما قاله الضَّحّاك، فيُجعل إجماع الجميع على أن التسبيح عند القيام إلى الصلاة مما خُيّر المسلمون فيه دليلًا لنا على أنه أريد به الندب والإرشاد».

ذكر ابنُ تيمية (٦/ ١٢٥) أن ابن عباس قال: هو التسبيح بعد الصلاة.

وعلَّق عليه بقوله: «لعل هذا تفسير لقوله: ﴿وَأَدْبَارَ السُّجُودِ﴾ [ق: ٤٠]، فإنه أنسب».

وقال عزَّ وجلَّ: فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ [غافر: 55].

وقال تبارك وتعالى: فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ * وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ [ق: 39، 40].

وعنْ عائِشةَ رَضِيَ الله عنها: أنَّها قالتْ: ((كان النَّبيُّ - ﷺ - يُكثِرُ أنْ يَقولَ في رُكوعِه وسُجودِه: سُبْحانكَ اللَّهُمَّ ربَّنا وبِحَمْدِك، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي يَتأوَّلُ القُرْآنَ)).(82)

وعنْ عائِشةَ أيضًا، قالتْ: ((كان رَسولُ اللهِ - ﷺ - يُكثِرُ مِن قَولِ: سُبْحانَ اللهِ وبِحَمْدِه أسْتغفِرُ اللهَ وأتُوبُ إليه، قالتْ: فقُلْتُ: يا رَسولَ اللهِ، أَرَاكَ تُكثِرُ مِن قَولِ: سُبْحانَ اللهِ وبِحَمْدِه أسْتغفِرُ اللهَ وأتوبُ إليه؟ فقال: خَبَّرني رَبِّي أنِّي سأرَى عَلامةً في أُمَّتي، فإذا رَأَيْتُها أكثَرْتُ مِن قَولِ: سُبْحانَ اللهِ وبِحَمْدِه أسْتَغفِرُ اللهَ وأتوبُ إليه، فقَدْ رَأَيْتُها إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ [النصر: 1] فَتْحُ مكَّةَ، وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا [النصر: 2، 3])).(83)

---

(82) أخرجه البخاري (817)، ومسلم (484).
يتأوَّلُ القرآنَ أي: يعملُ ما أُمِر به في قولِ الله عزَّ وجلَّ: فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ [النصر: 3]، ويجعلُ ما أُمِر به من التَّسبيحِ والتَّحميدِ والاستغفارِ في أشرَفِ الأوقاتِ والأحوالِ.
يُنظر: ((شرح النووي على مسلم)) (201/4)، ((فتح الباري)) لابن حجر (734/8).
(83) أخرجه مسلم (484).

وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ (49).

وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ.

أي: وسَبِّحْ رَبَّك –يا محمَّدُ– في بَعضِ أوقاتِ اللَّيلِ.

كما قال تعالى: وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا [الإنسان: 26].

وَإِدْبَارَ النُّجُومِ.

أي: وسبِّحه أيضًا حينَ تَميلُ النُّجومُ للمَغيبِ.[84]

---

(84) اختُلف في المراد بقوله: ﴿وإدبار النجوم﴾ على قولين: الأول: أنهما ركعتا الفجر.

الثاني: صلاة الصبح الفريضة.

ورجَّح ابنُ جرير (٢١/ ٦٠٩ – ٦١٠ بتصرف) –مستندًا إلى ظاهر لفظ الآية– القول الثاني الذي قاله الضَّحّاك، وزيد، وعبد الرحمن بن زيد، فقال: «وذلك أنّ الله أمر، فقال: ﴿ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم﴾، والركعتان قبل الفريضة غير واجبتين، ولم تقم حجة يجب التسليم لها أنّ قوله: ﴿فسبحه﴾ على الندب، وقد دلّلنا على أن أمر الله على الفرض حتى تقوم حجة بأنه مراد به الندب، أو غير الفرض».

وذكر ابنُ تيمية (٦/ ١٢٥ – ١٢٦) أنه رُوي عن طائفة من السلف أنّ ﴿وأدبار السجود﴾ [ق: ٤٠]: الركعتان بعد المغرب، ﴿وإدبار النجوم﴾ [الطور: ٤٩]: ركعتا الفجر.

تَفْسِيرُ
سُورَةِ النَّجْمِ

سُورةُ النَّجْمِ

سُورةُ النَّجْمِ

سُمِّيَت هذه السُّورةُ بسُورةِ (النَّجْمِ)،[85] وممَّا يدُلُّ على ذلك ما يلي:

1- عن ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنهما: ((أنَّ النَّبيَّ - ﷺ - سَجَد بالنَّجْمِ، وسَجَدَ معه المُسلِمونَ والمُشرِكونَ، والجِنُّ والإنسُ)).[86]

2- عن ابنِ مَسعودٍ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: ((قرأ النَّبيُّ - ﷺ - النَّجْمَ فسَجَدَ)).[87]

فضائل السورة وخصائصها:

1- في سُورةِ النَّجْمِ سَجدةٌ.

---

(85) سُمِّيَت هذه السُّورةُ بسُورةِ النَّجمِ؛ لأنَّها ذُكِرَ فيها النَّجمُ، فافتُتِحَت بقَولِه تعالى: وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى.
يُنظر: ((بصائر ذوي التمييز)) للفيروزابادي (443/1)، ((تفسير ابن عاشور)) (87/27).
وتُسمَّى أيضًا سُورةَ وَالنَّجْمِ بواوٍ، بحكايةِ لفظِ القرآنِ الواقِعِ في أوَّلِها، ويدلُّ عليه حديثُ ابنِ مسعودٍ، وسيأتي (ص: 378).
وتُسمَّى أيضًا وَالنَّجمِ إذَا هَوَى كما في حديثِ زيدِ بنِ ثابتٍ رضي الله عنه: ((أنَّ النبيَّ - ﷺ - قرَأ: وَالنَّجمِ إذَا هَوَى...)) [مسلم (577) وهو في البخاري (1072) بدونِ قولِه: إذَا هَوَى].
يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (87/27).
(86) أخرجه البخاري (1071).
(87) أخرجه البخاري (3853) واللَّفظُ له، ومسلم (576).

وذلك عندَ قَولِه تعالى: فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا [النَّجْم: 62].[88] ومِمَّا يدُلُّ على ذلك ما جاء عن عبدِ اللهِ بنِ مَسعودٍ رَضِيَ اللهُ عنه: ((أنَّ النبيَّ – ﷺ – قرأَ سُورةَ النَّجْمِ، فسَجَد فيها، وما بقِيَ أحدٌ مِنَ القَومِ إلَّا سَجَدَ)).[89]

2– سورةُ النَّجْمِ أوَّلُ سُورةٍ أُنزِلَت فيها سَجدةٌ.

عن ابنِ مَسعودٍ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: (أوَّلُ سورةٍ أُنزِلتْ فيها سَجدةٌ: وَالنَّجْمِ).[90]

سورةُ النَّجْمِ مَكِّيَّةٌ،[91] ونَقَل الإجماعَ على ذلك غيرُ واحدٍ مِنَ المفَسِّرينَ.[92]

مِن أهَمِّ مَقاصِدِ هذه السُّورةِ:

1– إقامةُ الأدِلَّةِ على وَحدانيَّةِ اللهِ تعالى.

2– تحقيقُ أنَّ الرَّسولَ – ﷺ – صادِقٌ فيما يُبَلِّغُه عن اللهِ تعالى.

---

(88) وهذا مَذهَبُ الجُمهورِ مِنَ الحَنَفيَّةِ والشَّافِعيَّةِ والحنابِلةِ.
يُنظر: ((حاشية ابن عابدين)) (2/ 104)، ((المجموع)) للنووي (4/59)، (كشاف القناع)) للبُهوتي (1/447).

(89) أخرجه البخاري (1070)، ومسلم (576).

(90) أخرجه البخاري (4863).

(91) قيل: إلَّا آيةً واحِدةً، وهي قَولُه تعالى: الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ [النجم: 32].
يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (22/5)، ((تفسير الماوردي)) (5/389)، ((تفسير الزمخشري)) (4/416).

(92) ممَّن نَقَل الإجماعَ على ذلك: ابنُ عطية، وابن الجوزي، والفيروزابادي، والبِقاعي.
يُنظر: ((تفسير ابن عطية)) (5/176)، ((تفسير ابن الجوزي)) (4/183)، ((بصائر ذوي التمييز)) للفيروزابادي (1/443)، ((مصاعد النظر)) للبقاعي (3/33).

مِن أهمِّ الموضوعاتِ الَّتي اشتَمَلَتْ عليها السُّورةُ:

3- افتُتِحَت السُّورةُ بقَسَمِ اللهِ تعالى بالنَّجْمِ، على صِدقِ النَّبيِّ - ﷺ - فيما يُبَلِّغُه عن رَبِّه تعالى.

4- وَصفُ جِبريلَ عليه السَّلامُ -وهو أمينُ الوَحيِ- بصِفاتٍ تدُلُّ على قُوَّتِه وشِدَّتِه، وعلى أنَّ النَّبيَّ - ﷺ - قد رآه على هيئتِه الَّتي خَلَقه اللهُ عليها.

5- الحديثُ عن آلهةِ المُشـرِكينَ المزعومةِ، وبَيانُ أنَّها مُجَرَّدُ أسماءٍ أطلَقوها عليها، وأنَّها أوهامٌ لا حقائِقَ لها، وأنَّ العِبادةَ إنَّما تكونُ للهِ وَحْدَه.

6- توبيخُ المُشركينَ على جَعْلِ الملائِكةِ إناثًا، وتَسميتِهم إيَّاهم بناتِ اللهِ.

7- أمْرُ النَّبيِّ - ﷺ - بالإعراضِ عمَّن يَتولَّى عن ذِكرِ اللهِ، ويَشـغَلُ نَفْسَـه بالدُّنيا وَحْدَها؛ وتَسـليتُه عمَّا لَحِقَه مِنَ المُشركِينَ مِن أذًى.

8- بيانُ مَظاهِرِ رَحمةِ اللهِ وعَدْلِه في خَلْقِه، وسَعةِ عِلمِه وقُدرتِه على كُلِّ شَيءٍ، والتَّذكيرُ بمَن جاء قبْلَ مُحمَّدٍ - ﷺ - مِن الرُّسُلِ، وما حَلَّ بالأُمَمِ المكذِّبةِ بهم.

9- التَّعَجُّبُ مِن استهزاءِ المُشركينَ بالقُرآنِ حِينَ سَماعِه، وغَفلتِهم عن مَواعِظِه.

10- خُتِمَت السُّورةُ بالأمرِ بالخُضوعِ لله وعبادتِه، والإخلاصِ له فى العَمَلِ.

سُورةُ النَّجْمِ

الآيات (1-18)

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى (1) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى (2) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (3) إِنْ هُوَ
إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (4) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى (5) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى (6) وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى
(7) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى (8) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى (9) فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى (10)
مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى (11) أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى (12) وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى (13)
عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى (14) عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى (15) إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى (16)
مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى (17) لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى (18)

غريب الكلمات:

هَوَى: أي: سَقَط، والهُوِيُّ: سُقوطٌ مِن عُلْوٍ إلى سُفْلٍ، وأصلُه يدُلُّ على خُلُوٍّ وسُقوطٍ.

غَوَى: أي: اعتَقَد باطِلًا، وتجاوَز الحَقَّ، وأصلُ (غوي): يدُلُّ على خِلافِ الرُّشدِ.

الْهَوَى: أي: ما تَميلُ إليه النَّفسُ، والهَوى: مَيلُ النَّفْسِ إلى الشَّهوةِ، قيل: سُمِّي بذلك؛ لأنَّه يَهوِي بصاحِبِه في الدُّنيا إلى كلِّ داهيةٍ، وفي الآخرةِ إلى الهاوِيةِ، وأصلُه يدُلُّ على خُلُوٍّ وسُقوطٍ.

وَحْيٌ: الوَحْيُ هو كُلُّ ما ألْقَيْتَه إلى غَيْرِك حتَّى عَلِمه كيفَ كانَ: إمَّا بإرسالِ رسولٍ، أو بإلهامٍ، أو بكتابةٍ، أو بإشارةٍ، يُقالُ: وحَى إليه بالكلامِ وَحْيًا، وأوْحَى يُوحِي إيحاءً، وأصلُه: إعلامٌ في خفاءٍ.

مِرَّةٍ: أي: قُوَّةٍ وشِدَّةٍ، وأصلُ المِرَّةِ: مِن أمرَرْتُ الحَبْلَ، أي: شَدَدتُ فَتْلَه.

فَاسْتَوَى: أي: اعتَدَل واستقامَ على صُورتِه الحَقيقيَّةِ، وهو جِبريلُ عليه السَّلامُ، أو ارتَفَع وعلا، وأصلُ (سوي): يدُلُّ على استِقامةٍ واعتِدالٍ بيْنَ شَيئَينِ.

بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى: أي: أُفُقِ السَّماءِ الَّذي هو أعلَى مِنَ الأرضِ. وقيل: أُفُقِ مَشرِقِ الشَّمسِ، والأُفُقُ: ناحِيةُ السَّماءِ، وأصلُ (أفق): يدُلُّ على تباعُدِ ما بيْنَ أطرافِ الشَّيءِ.

فَتَدَلَّى: أي: دَنا وقَرُب، والتَّدَلِّي: هو النُّزولُ إلى الشَّيءِ حتَّى يَقرُبَ منه، وأصلُ (دلي): يدُلُّ على مُقارَبةِ الشَّيءِ ومُداناتِه.

قَابَ قَوْسَيْنِ: أي: قَدْرَ قوسَينِ، والقَوسُ: ما يُرمَى به. وقيل: قَدْرَ ذِراعَينِ، والقَوسُ: الذِّراعُ يُقاسُ بها كُلُّ شَيءٍ، وهذا إشارةٌ إلى تأكيدِ القُربِ، وأصلُه: أنَّ الحليفَينِ مِنَ العَرَبِ كانا إذا أرادا عَقْدَ الصَّفاءِ والعَهدِ خَرَجا بقَوسَيهما فألصَقَا بَيْنَهما؛ يُريدانِ بذلك أنَّهما مُتظاهِرانِ يُحامي كُلُّ واحِدٍ مِنهما عن صاحِبِه.

الْفُؤَادُ: أي: القلبُ، سُمِّيَ بذلك لحرارَتِه، أو لتَوقُّدِه، وأصلُ (فأد): يدُلُّ على حُمًّى وشِدَّةِ حرارةٍ.

أَفَتُمَارُونَهُ: أي: أفتُجادِلونَه، والامتِراءُ والمُماراةُ: المحاجَّةُ فيما فيه مِريَةٌ، أي: تَرَدُّدٌ، وأصلُ (مري): يدُلُّ على صَلابةٍ في شَيءٍ؛ لأنَّ المِراءَ كَلامٌ فيه بَعضُ الشِّدَّةِ.

نَزْلَةً: أي: مَرَّةً، وأصلُ (نزل): يدُلُّ على هُبوطِ شَيءٍ ووُقوعِه.

سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى: أي: شَجَرةِ نَبْقٍ عَظيمةٍ فَوقَ السَّماءِ السَّابِعةِ، والمُنتَهى: أي: الانتِهاءِ، وقِيلَ لها سِدرةُ المُنتهَى؛ لانتِهاءِ عِلمِ كُلِّ عالِمٍ مِنَ الخَلقِ إليها، أو لانتِهاءِ ما يَصعَدُ مِن تحتِها، ويَنزِلُ مِن فَوقِها إليها، وقيل غيرُ ذلك.

جَنَّةُ الْمَأْوَى: أي: الجنَّةُ الَّتي يَأوي ويَرجِعُ إليها المؤمِنونَ يومَ القيامةِ. وقيل: هي عن يَمينِ العَرشِ تأوي إليها أرواحُ الشُّهَداءِ، والمَأْوَى: مَكانُ كُلِّ شَيءٍ ومَرجِعُه الَّذي يعودُ إليه، وأصلُ (أوي): يدُلُّ على التَّجمُّعِ.

زَاغَ: أي: عَدَلَ ومالَ، والزَّيغُ: المَيلُ عنِ القَصْدِ، وأصلُ (زيغ): يدُلُّ على مَيلٍ.

طَغَى: أي: زادَ وتَجاوَزَ، وأصلُ الطُّغيانِ: يدُلُّ على مُجاوَزةِ الحَدِّ.

تفسير الآيات:

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى (1).

أي: أُقسِمُ بالنَّجْمِ[93] إذا سَقَط.[94]

---

(93) اختُلف في معنى: ﴿والنَّجْمِ﴾ على أقوال: الأول: والثريّا.

الثاني: والقرآن.

الثالث: النجم اسم جنس، والمعنى: والنجوم إذا هوت.

الرابع: أنه محمد – ﷺ – إذا نزل من السماء ليلة المعراج.

ووجَّه ابنُ عطية (٨/ ١٠٤) القول الأول بقوله: «و﴿هَوى﴾ –على هذا القول– يحتمل الغروب، ويحتمل الانكدار».

ووجَّه القول الثاني بقوله: «ويجيء ﴿هَوى﴾ –على هذا التأويل– بمعنى: نزل».

ثم انتقده –مستندًا إلى اللغة– قائلًا: «وفي هذا الهُوِيّ بُعْدٌ وتحاملٌ على اللغة».

ووجَّه ابنُ القيم (٣/ ٦٤) القول الثاني بقوله: «وعلى هذا فسُمّي القرآن نجمًا لتفرقه في النزول، والعرب تُسمي التفرّق: تنجّمًا، والمفرَّق: نجمًا، ونجوم الكتاب: أقساطها...

وقوله: ﴿هَوى﴾ على هذا القول، أي: نزل من علوّ إلى سفل».

ورجَّح ابنُ جرير (٢٢/ ٧) –مستندًا إلى لغة العرب– القول الأول، وهو قول مجاهد من طريق ابن أبي نجيح، وسفيان، وأحد أقوال ابن عباس، وعلَّل ذلك بأن «العرب تدعوها النجم».

ونقل قولًا عن بعض أهل البصرة أن معنى: ﴿والنَّجْمِ﴾: «والنجوم، ذهب إلى لفظ الواحد وهو في معنى الجميع».

ثم انتقده –مستندًا إلى أقوال السلف– قائلًا: «والقول الذي قاله مَن حكينا عنه مِن أهل البصرة قولٌ لا نعلم أحدًا من أهل التأويل قاله، وإن كان له وجهٌ، فلذلك تركنا القول به».

ونقل ابنُ عطية (٨/ ١٠٥) اختلاف المفسرين في معنى «الهُوِيّ» على القول الثالث، وأنه عند جمهور المفسرين: هوى للغروب.

ثم علّق عليه بقوله: «وهذا هو السابق إلى الفهم من كلام العرب».

وعند أبي حمزة اليماني: هوى عند الانكدار في القيامة.

ثم وجَّهه بقوله: «فهي بمعنى قوله تعالى: ﴿وإذا الكَواكِبُ انْتَثَرَتْ﴾ [الانفطار: ٢]».

ونقل عن ابن عباس –في كتاب الثعلبي–: «هوى في الانقضاض في أثر العفْرِية»، ثم علَّق عليه بقوله: «وهذا القول تساعده اللغة».

ثم علَّق على ما سبق بقوله: «والتأويلات في ﴿هَوى﴾ محتملة كلُّها قويةٌ».

ونقل ابنُ عطية (٨/ ١٠٤) عن الزهراوي أن المعنى: «وربّ النَّجم».

ثم انتقده –مستندًا إلى مخالفة لفظ الآية– قائلًا: «وفي هذا قلق مع لفظ الآية».

ونقل ابنُ كثير (١٣/ ٢٤٦) عن الضّحّاك قوله: «﴿والنَّجْمِ إذا هَوى﴾ إذا رُمي به الشياطين».

ثم علَّق عليه بقوله: «وهذا القول له اتجاه».

ونقل ابنُ القيم (٣/ ٦٥) هذا القول عن ابن عباس، فقال: «يعني: النجوم التي تُرمى بها الشياطين إذا سقطت في آثارها عند استراق السمع».

ثم رجَّحه –مستندًا إلى دلالة العقل– قائلًا: «وهذا قول الحسن، وهو أظهر الأقوال.

ويكون سبحانه قد أقسم بهذه الآية الظاهرة المشاهدة التي نصبها الله –سبحانه– آية وحفظًا للوحي مِن استراق الشياطين له على أن ما أتى به رسوله حقٌّ وصِدق، لا سبيل للشيطان ولا طريق له إليه، بل قد أُحرس بالنجم إذا هوى رصدًا بين يدي الوحي، وحرسًا له، وعلى هذا فالارتباط بين المُقسم به والمُقسم عليه في غاية الظهور، وفي المُقسم به دليل على المُقسم عليه».

وانتقد القول الأول والثاني والثالث –مستندًا إلى المعهود من اللغة، والدلالة العقلية– قائلًا: «وليس بالبيِّن تسمية القرآن عند نزوله بالنجم إذا هوى، ولا تسمية نزوله هويًا، ولا عُهد في القرآن ذلك فيُحمل هذا اللفظ عليه، وليس بالبيِّن تخصيص هذا القَسم بالثُّريّا وحدها إذا غابت، وليس بالبيِّن أيضًا القَسم بالنجوم عند انتشارها يوم القيامة، بل هذا مما يُقسم الرّبّ عليه ويدل عليه بآياته، فلا يجعله نفسه دليلًا؛ لعدم ظهوره للمخاطبين، ولا سيما منكرو البعث، فإنه سبحانه إنما استدل بما لا يمكن جحده ولا المكابرة فيه».

(94) عن عبد الله بن عباس –من طريق سعيد بن جُبَير– قال: كنتُ جالسًا مع فِتية مِن بني هاشم عند النبي –ﷺ–؛ إذ انقضّ كوكبٌ، فقال النبي –ﷺ–: «مَن انقضّ هذا النجم في منزله فهو الوصيُّ مِن بعدي».

فقام فِتيةٌ من بني هاشم، فنظروا، فإذا الكوكب قد انقضّ في منزل عَلِيٍّ، قالوا: يا رسول الله، قد غَويتَ في حُبّ عَلِيٍّ؟ فأنزل الله تعالى: ﴿والنجم إذا هوى، ما ضل صاحبكم وما غوى، وما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى﴾ إلى قوله: ﴿وهو بالأفق الأعلى﴾ [النجم: ١ – ٧]

أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٤١/ ٣٦٢.

وقال: «هذا حديث منكر، ومن بين أبي عمر وبين هشيم مجهولون لا يُعرفون».

وأورده ابن الجوزي في كتاب الموضوعات ١/ ٣٧٢ بإسناد آخر وسياق مختلف، عن محمد بن مروان عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس، قال: لما عرج بالنبي –ﷺ– إلى السماء السابعة، وأراه الله من العجائب في كل سماء، فلما أصبح جعل يحدث الناس من عجائب ربه، فكذبه من أهل مكة من كذبه، وصدقه من صدقه، فعند ذلك انقض نجم من السماء، فقال النبي –ﷺ–: «في دار من وقع هذا النجم فهو خليفتي من بعدي».

قال: فطلبوا ذلك النجم، فوجدوه في دار علي بن أبي طالب؟.

فقال أهل مكة: ضل محمد وغوى، وهوى إلى أهل بيته، ومال إلى ابن عمه علي بن أبي طالب.

فعند ذلك نزلت هذه السورة.

ثم قال ابن الجوزي: «هذا حديث موضوع، لا شك فيه، وما أبرد الذي وضعه، وما أبعد ما ذكر، وفى إسناده ظلمات».

إلى أن قال: «والعجب من تغفيل من وضع هذا الحديث كيف رتب ما لا يصح في العقول مِن أن النجم يقع في دار ويثبت حتى يُرى، ومِن بلهه أنه وضع هذا الحديث على ابن عباس، وكان [ابن عباس] في زمن المعراج ابن سنتين، فكيف يشهد تلك الحالة ويرويها؟!».

مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى (2).

انتقد ابنُ تيمية في منهاج السـنة النبوية (٧/ ٦٠ – ٦٨) هذا الأثر مسـتندًا إلى الإجماع، وأحوال النزول، والأدلة العقلية، والتاريخية، فقال –بتصـرف–: «والجواب من وجوه: أحدها: المطالبة بصـحته، وذلك أن القول بلا علم حرام بالنص والإجماع....

الثاني: أن هذا كذب باتفاق أهل العلم بالحديث....

الوجه الثالث: أنه مما يبين أنه كذب أن فيه ابن عباس شهد نزول سورة النجم حين انقض الكوكب في منزل علي، وسورة النجم باتفاق الناس من أول ما نزل بمكة، وابن عباس حين مات النبي – ﷺ – كان مراهقًا للبلوغ لم يحتلم بعد، هكذا ثبت عنه في الصحيحين.

فعند نزول هذه الآية: إما أن ابن عباس لم يكن وُلد بعد، وإما أنه كان طفلًا لا يميز، فإن النبي – ﷺ – لما هاجر كان لابن عباس نحو خمس سنين، والأقرب أنه لم يكن وُلد عند نزول سورة النجم، فإنها من أوائل ما نزل من القرآن.

الوجه الرابع: أنه لم ينقض قط كوكب إلى الأرض بمكة ولا بالمدينة ولا غيرهما، ولما بُعث النبي – ﷺ – كثر الرمي بالشهب، ومع هذا فلم ينزل كوكب إلى الأرض، وهذا ليس من الخوارق التي تعرف في العالم، بل هو من الخوارق التي لا يعرف مثلها في العالم، ولا يروي مثل هذا إلا مَن هو مِن أوقح الناس، وأجرؤهم على الكذب، وأقلهم حياء ودينًا، ولا يروج إلا على من هو مِن أجهل الناس وأحمقهم، وأقلهم معرفة وعلمًا.

الوجه الخامس: أن نزول سـورة النجم كان في أول الإسـلام، وعلِيٌّ إذ ذاك كان صـغيرًا، والأظهر أنه لم يكن احتلم ولا تزوج بفاطمة، ولا شُرع بعد فرائض الصلاة أربعًا وثلاثًا واثنين، ولا فرائض الزكاة، ولا حج البيت، ولا صوم رمضان، ولا عامة قواعد الإسلام.

وأمر الوصـية بالإمامة لو كان حقًّا إنما يكون في آخر الأمر كما ادعوه يوم غدير خم، فكيف يكون قد نزل في ذلك الوقت؟!

الوجه السادس: أن أهل العلم بالتفسير متفقون على خلاف هذا، وأن النجم المقسم به: إما نجوم السماء، وإما نجوم القرآن، ونحو ذلك.

ولم يقل أحد: إنه كوكب نزل في دار أحد بمكة.

الوجه السـابع: أن من قال لرسـول الله – ﷺ –: «غويت» فهو كافر، والكفار لم يكن النبي – ﷺ – يأمرهم بالفروع قبل الشهادتين والدخول في الإسلام.

الوجه الثامن: أن هذا النجم إن كان صاعقة فليس نزول الصاعقة في بيت شخص كرامة له، وإن كان من نجوم السماء فهذه لا تفارق الفلك، وإن كان مِن الشهب فهذه يُرمى بها رجومًا للشياطين، وهي لا تنزل إلى الأرض، ولو قُدِّر أن الشيطان الذي رمي بها وصل إلى بيت علِيٍّ حتى احترق بها فليس هذا كرامة له، مع أن هذا لم يقع قط».

أي: ما حادَ صاحِبُكم محمَّدٌ –يا قُرَيشُ– عن الحقِّ، وما زالَ عن اعتِقادِه والإيمانِ به، وما صار غاوِيًا مُتَّبِعًا لِهَواه، بل هو مُهْتَدٍ في عِلْمِه، راشِدٌ في عَمَلِه.

كما قال الله تعالى: إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ [يس: 3، 4].

وقال تبارك وتعالى: فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ [الزخرف: 43].

وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (3).

أي: وما يَصدُرُ كَلامُ مُحمَّدٍ – ﷺ – عن هَوًى في نَفْسِه.(95)

إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (4).

أي: ما نُطقُ مُحمَّدٍ – ﷺ – في الدِّينِ إلَّا وَحْيٌ يُوحِيه اللهُ إليه، فيَتَّبِعُه في نَفْسِه، ويُبَلِّغُه لِغَيرِه دونَ زيادةٍ أو نَقصٍ.

عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى (5).

---

(95) نقل ابنُ عطية (٨/ ١٠٧) في قوله تعالى: ﴿وما يَنْطِقُ عَنِ الهَوى﴾ عن بعض العلماء أن المعنى: «وما ينطق القرآن المُنزّل عن هوًى وشهوة».

ثم وجَّهه بقوله: «ونسب تعالى النطق إليه من حيث يُفهم منه، كما قال تعالى: ﴿هذا كِتابُنا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالحَقِّ﴾ [الجاثية: ٢٩]، وأسند الفعل إلى القرآن ولم يتقدم له ذكر لدلالة المعنى عليه».

وذكر ابنُ القيم (٣/ ٦٦) أن الضمير في قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إلاّ وحْيٌ يُوحى﴾ يعود على المصدر المفهوم من الفعل، أي: ما نطقه إلا وحي يوحى، ثم علَّق عليه بقوله: «وهذا أحسن من قول مَن جعل الضمير عائدًا إلى القرآن، فإنه يعمّ نطقه بالقرآن والسنة، وإنّ كليهما وحي يوحى».

أي: علَّم مُحمَّدًا – ﷺ – هذا القُرآنَ جِبريلُ –عليه السَّلامُ– الشَّديدُ القُوى.(96)

كما قال تعالى: قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ [البقرة: 97].

وقال سُبحانَه: وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ [الشعراء: 192 – 194].

وقال عزَّ شأنُه: إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ [التكوير: 19 – 21].

ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى (6).

ذُو مِرَّةٍ.

أي: إنَّ جِبريلَ ذو جِسمٍ قَويٍّ صَحيحٍ، سالِمٍ مِنَ النَّقصِ، حَسَنُ الخَلْقِ، جَميلٌ ظاهِرًا وباطِنًا.(97)

---

(96) ذكر ابنُ عطية (٨/ ١٠٧) أنّ الضمير في قوله تعالى: ﴿عَلَّمَهُ﴾ «يحتمل أن يكون للقرآن، والأظهر أنه لمحمد – ﷺ –».
ولم يذكر مستندًا، ثم نقل عن الحسن أن: «المعلِّم الشديد القوى هو الله تعالى».
ثم علَّق بأن لفظ «القوَّة» «في جبريل – عليه السلام – متمكِّن، ويؤيده قوله تعالى: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي العَرْشِ مَكِينٍ﴾ [التكوير: ٢٠]».

(97) اختُلف في معنى: ﴿ذُو مِرَّةٍ فاسْتَوى﴾ على قولين: الأول: ذو خَلْق حسن.
الثاني: ذو قوَّة.
ووجَّه ابنُ عطية (٨/ ١٠٧) القول الثاني بقوله: «ومنه قول النبي – ﷺ –: «لا تَحِلُّ الصدقة لغنيّ، ولا لذي مِرَّةٍ سَوِيٍّ»».

فَاسْتَوَى.

أي: فارتَفَع جِبريلُ وعلا في السَّماءِ على صُورتِه الحقيقيَّةِ.

وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى (7).

أي: وجِبريلُ في ناحيةِ السَّماءِ العُليا.(98)

ورجَّح ابنُ جرير (٢٢/ ١١) –مستندًا إلى الدلالة العقلية– «قول مَن قال: عُنِيَ بالمِرَّة: صحةُ الجسم وسلامته من الآفات والعاهات، والجسم إذا كان كذلك من الإنسان كان قويًّا».

وعلَّل ذلك بقوله: «لأن المِرَّة واحدُ المِرَر، وإنما أريد به: ذو مِرَّةٍ سويَّةٍ، وإذا كانت المِرَّة صحيحة كان الإنسان صحيحًا، ومنه قول النبي – ﷺ –: «لا تَحِلُّ الصدقة لغنيّ، ولا لذي مِرَّةٍ سَويّ»».

وذكر ابنُ عطية (٨/ ١٠٨) القول الأول، ثم نقل قولًا آخر أن المعنى: «ذو جسم طويل حسن».

ثم انتقدهما قائلًا: «وهذا كله ضعيف».

ولم يذكر مستندًا.

وعلَّق ابنُ كثير (١٣/ ٢٤٩) على القول الأول والثاني بقوله: «ولا منافاة بين القولين؛ فإنه – عليه السلام – ذو مَنظر حسن، وقوة شديدة.

وقد ورد الحديث الصحيح من رواية أبي هريرة وابن عمر – رضي الله عنهما – أن النبي – ﷺ – قال: «لا تحل الصدقة لغنيّ، ولا لذي مرة سويّ»».

ووجَّه ابنُ جرير (٢٢/ ١٢) «استوى» على القول بأن المتَّصف بقوله تعالى: ﴿شَدِيدُ القُوى﴾ هو جبريل – عليه السلام – بقوله: «وكأن قائل ذلك وجَّه معنى قوله: ﴿فاسْتَوى﴾ أي: ارتفع واعتدل».

(98) رجَّح ابنُ جرير (٢٢/ ١١) –مستندًا إلى اللغة، والسياق، والنظائر– أن قوله تعالى: ﴿وهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلى﴾ يعني: محمدًا – ﷺ –، ووجَّه ذلك بقوله: «وذلك لَمّا أُسْرِي برسول الله – ﷺ – استوى هو وجبريل؟ بمطلع الشمس الأعلى، وعطف الأعلى، وعطف بقوله: ﴿وهُوَ﴾ على ما في قوله: ﴿فاسْتَوى﴾ من ذِكْرِ محمدٍ – ﷺ –، وأكثر كلام العرب إذا أرادوا العطف في مثل هذا الموضع أن يُظهِروا كناية المعطوف عليه، فيقولوا: استوى هو وفلانٌ.

وقلَّما يقولون: استوى وفلانٌ.

وقد ذكر الفراء عن بعض العرب أنه أنشده:

ألم تر أن النَّبعَ يصلُبُ عودُه ولا يستوي والخِرْوعُ المتقصِّفُ

ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى (8).

أي: ثمَّ اقترَب جِبريلُ مِن مُحمَّدٍ – ﷺ – وتدَلَّى إليه، فاقترَب منه أكثَرَ حِينَ هَبَط إليه مِنَ السَّماءِ إلى الأرضِ؛ لِيُوحِيَ إليه ما شاء اللهُ.

عن عائِشةَ رَضِيَ اللهُ عنها، في قَولِه تعالى: ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى قالت: ((ذاكَ جِبريلُ، كان يأتيه في صُورةِ الرَّجُلِ، وإنَّه أتاه هذه المرَّةَ في صُورتِه الَّتي هي صُورتُه؛ فسَدَّ الأُفُقَ!)).(99)

فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى (9).

أي: فكان مِقدارُ مَسافةِ قُربِ جِبريلَ مِن مُحمَّدٍ – ﷺ – قَدْرَ قَوسَينِ، أو هو أقرَبُ إليه مِن ذلك!(100)

ومنه قول الله: ﴿أئِذا كُنّا تُرابًا وآباؤُنا﴾ [النمل: ٦٧]، فعطف بالآباء على المُكنّى في: ﴿كُنّا﴾ من غير إظهار «نحن»، فكذلك قوله: ﴿فاسْتَوى وهُوَ﴾».

واستدرك ابنُ عطية (٨/ ١٠٨) على قول ابن جرير –مستندًا إلى اللغة– قائلًا: «وفي هذا التأويل العطف على المضمر المرفوع دون أن يؤكد، وذلك عند النحاة مستقبح».

وعلّق ابنُ كثير (١٣/ ٢٥٠) على قول ابن جرير بقوله: «وقد قال ابن جرير هاهنا قولًا لم أره لغيره، ولا حكاه هو عن أحد».

ثم ذكر قوله وتوجيهه له من جهة العربية، ثم استدرك عليه –مستندًا إلى التاريخ– قائلًا: «وهذا الذي قاله من جهة العربية متجه، ولكن لا يساعده المعنى على ذلك؛ فإن هذه الرؤية لجبريل لم تكن ليلة الإسراء، بل قبلها، ورسول الله – ﷺ – في الأرض، فهبط عليه جبريل – عليه السلام –، وتدلى إليه، فاقترب منه وهو على الصورة التي خلقه الله عليها، له ستمائة جناح، ثم رآه بعد ذلك نزلة أخرى عند سدرة المنتهى –يعني: ليلة الإسراء– وكانت هذه الرؤية الأولى في أوائل البعثة بعد ما جاءه جبريل – عليه السلام – أول مرة...».

(99) رواه البخاري (3234) واللَّفظُ له، ومسلم (177).

(100) اختُلِف في المراد بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنا فَتَدَلّى﴾ على قولين: الأول: أنه الرب – عز وجل –.

الثاني: أنه جبريل – عليه السلام –.

عن أبي إسحاقَ الشَّيْبانيِّ، قال: ((سألتُ زِرَّ بنَ حُبَيْشٍ عن قَولِ اللهِ عزَّ وجلَّ: فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى، قال: أخبرَني ابنُ مَسعودٍ: أنَّ النَّبيَّ - ﷺ - رأى جِبريلَ له سِتُّمِئةِ جَناحٍ)).[101]

فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى (10).

أي: فأوحى جِبريلُ إلى عبدِ اللهِ مُحمَّدٍ - ﷺ -[102] ما أوحاه إليه مِنَ اللهِ تعالى.

ورجَّح ابنُ عطية (٥/ ١٩٧ دار الكتب العلمية) القول الثاني مستندًا إلى السياق، والسنة، فقال: «والصحيح عندي: أن جميع ما في هذه الآيات -أي: من قوله تعالى: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوى﴾ - هو مع جبريل - عليه السلام -، بدليل قوله تعالى: ﴿ولَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرى﴾، فإن ذلك يقضي بنزلة متقدمة، وما رُوي قطّ أنّ محمدًا - ﷺ - رأى ربَّه - عز وجل - قبل ليلة الإسراء، أما إن رؤية القلب لا تُمنع بحال».

ورجَّح ابنُ تيمية (٦/ ١٣٠) -مستندًا إلى أقوال السلف، والسياق- أن الدُّنوّ والتَّدلي هو دنوّ جبريل - عليه السلام - وتدلّيه، فقال: «الدنوّ والتدلّي في سورة النجم هو دنوّ جبريل وتدلّيه -كما قالت عائشة، وابن مسعود- والسياق يدُلُّ عليه، فإنه قال: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوى﴾ وهو جبريل، ﴿ذُو مِرَّةٍ فاسْتَوى وهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلى ثُمَّ دَنا فَتَدَلّى﴾ فالضمائر كلها راجعة إلى هذا المُعلّم الشديد القوي، وهو ذو المِرّة، أي: القوة، وهو الذي استوى بالأفق الأعلى، وهو الذي دنا فتدلّى، فكان مِن محمد - ﷺ - قدر قوسين أو أدنى، وهو الذي رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى، رآه على صورته مرتين؛ مرة في الأرض، ومرة عند سدرة المنتهى».

ذكر ابنُ القيم (٣/ ٦٩) أنّ معنى: ﴿فَكانَ قابَ قَوْسَيْنِ أوْ أدْنى﴾ أي: «بأنه قدر قوسين أو أدنى من ذلك، وليس هذا على وجه الشكّ، بل تحقيقٌ لقدر المسافة، وأنها لا تزيد عن قوسين ألبتة، كما قال تعالى: ﴿وأَرْسَلْناهُ إلى مِائَةِ ألْفٍ أوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصافات: ١٤٧]، تحقيق لهذا العدد، وأنهم لا ينقصون عن مائة ألف رجل واحدًا، ونظيره قوله: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كالحِجارَةِ أوْ أشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة: ٧٤]، أي: لا تنقص قسوتها عن قسوة الحجارة، بل إن لم تزد على قسوة الحجارة لم تكن دونها».

ثم ذهب إليه بقوله: «وهذا المعنى أحسن وألطف وأدقّ من قول مَن جعل ﴿أو﴾ في هذه المواضع بمعنى: بل، ومن قول مَن جعلها للشكّ بالنسبة إلى الرأي، وقول مَن جعلها بمعنى: الواو.

فتأمله».

(101) رواه البخاري (3232)، ومسلم (174) واللَّفظُ له.

(102) اختُلف في معنى: ﴿فَأَوْحى إلى عَبْدِهِ ما أوْحى﴾ على قولين: الأول: فأوحى الله إلى عبده محمدٍ - ﷺ - وحيَه.

مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى (11).

أي: ما كَذَب قَلبُ مُحمَّدٍ – ﷺ – ما رآه ببَصَرِه، بل صَدَقَه، وتحَقَّقَه وعَلِمَه يَقينًا.[103]

الثاني: فأوحى جبريل – عليه السلام – إلى عبده محمد – ﷺ – ما أوحى إليه ربُّه.

ووجَّه ابنُ جرير (٢٢/ ٢٠) القول الثاني بقوله: «وقد يتوجَّه على هذا التأويل ﴿ما﴾ لوجهين: أحدهما: أن تكون بمعنى: الذي، فيكون معنى الكلام: فأوحى إلى عبده الذي أوحاه إليه ربُّه.

والآخر: أن تكون بمعنى المصدر».

ثم رجَّحه مستندًا إلى دلالة السياق، وعلَّل ذلك بقوله: «لأن افتتاح الكلام جرى في أول السورة بالخبر عن محمد – ﷺ –، وعن جبريل – عليه السلام –، وقوله: ﴿فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾ في سياق ذلك، ولم يأت ما يدل على انصراف الخبر عنهما فيوجَّه ذلك إلى ما صُرِف إليه».

وعلَّق ابنُ كثير (١٣/ ٢٥٦) على القول الأول والثاني بقوله: «وكلا المعنيين صحيح».

ونقل ابنُ عطية (٨/ ١١٠) عن بعض العلماء أن المعنى: «فأوحى الله تعالى إلى عبده جبريل – عليه السلام – ما أوحى».

(103) قال ابنُ الجوزي: (في الَّذي رأى قَولانِ: أحدُهما: أنَّه رأى ربَّه عزَّ وجَلَّ.

قاله ابنُ عبَّاسٍ، وأنسٌ، والحسَنُ، وعِكْرِمةُ.

والثَّاني: أنَّه رأى جِبريلَ في صورته الَّتي خُلِقَ عليها.

قاله ابنُ مسعودٍ، وعائِشةُ).

((تفسير ابن الجوزي)) (186/4).

ونَسَب ابنُ عطيَّةَ القَولَ الثَّانيَ إلى جمهورِ العُلَماءِ.

يُنظر: ((تفسير ابن عطية)) (198/5).

قال الواحدي: (قال ابنُ عبَّاسٍ: رأى محمَّدٌ رَبَّه بفُؤادِه، ولم يَرَه بعَينه.

ويكونُ ذلك على أنَّ اللهَ تعالى جعَل بَصرَه في فؤادِه، أو خَلَق لفُؤادِه بصَرًا، حتَّى رأى رَبَّه رُؤيةً غيرَ كاذِبةٍ، كما ترى بالعَينِ.

ومَذهَبُ جماعةٍ مِن المفَسِّرينَ: أنَّه رآه بعَينِه، وهو قَولُ أَنسٍ، وعِكْرِمةَ، والحَسَنِ، وكان يَحلِفُ باللهِ لقد رأى محمَّدٌ رَبَّه.

فكُلُّ هؤلاء أثبَتوا رُؤيةً صَحيحةً؛ إمَّا بالعَينِ، وإمَّا بالفُؤادِ، ومَذهَبُ عبدِ اللهِ بنِ مَسعودٍ وعائِشةَ رَضِيَ اللهُ عنهما في هذه الآيةِ: أنَّه رأى جِبريلَ في صُورته الَّتي خُلِقَ عليها).

((الوسيط)) (195/4).

وقال ابنُ كثير: (ومَن روى عنه بالبَصَرِ فقد أغرَبَ؛ فإنَّه لا يَصِحُّ في ذلك شَيءٌ عن الصَّحابةِ رَضِيَ اللهُ عنهم، وقَولُ البغَويِّ في تفسيرِه: وذهب جماعةٌ إلى أنَّه رآه بعَينِه، وهو قَولُ أَنسٍ والحَسَنِ وعِكْرِمةَ: فيه نظَرٌ).

القِراءاتُ ذاتُ الأثَرِ في التَّفسيرِ:

((تفسير ابن كثير)) (448/7).

ويُنظر: ((تفسير البغوي)) (304/4).

وقال ابنُ تيميَّةَ: (وأمَّا «الرُّؤيةُ» فالَّذي ثبت في الصَّحيحِ عن ابنِ عَبَّاسٍ أنَّه قال: «رأى محمَّدٌ رَبَّه بفُؤادِه مَرَّتينِ»، وعائِشةُ أنكَرَت الرُّؤيةَ؛ فمِنَ النَّاسِ مَن جمَع بيْنَهما، فقال: عائِشةُ أنكَرَت رُؤيةَ العَينِ، وابنُ عبَّاسٍ أثبَتَ رُؤيةَ الفُؤادِ.

والألفاظُ الثَّابتةُ عن ابنِ عَبَّاسٍ هي مُطلَقةٌ أو مُقيَّدةٌ بالفُؤادِ؛ تارةً يقول: رأى محمَّدٌ رَبَّه، وتارةً يقولُ: رآه محمَّدٌ.

ولم يَثبُتْ عن ابنِ عبَّاسٍ لَفظٌ صَريحٌ بأنَّه رآه بعَينِه...

وليس في الأدِلَّةِ ما يقتضي أنَّه رآه بعَينِه، ولا ثَبَت ذلك عن أحَدٍ مِنَ الصَّحابةِ، ولا في الكِتابِ والسُّنَّةِ ما يدُلُّ على ذلك، بل النُّصوصُ الصَّحيحةُ على نَفْيِه أدَلُّ).

((مجموع الفتاوى)) (509/6، 510).

وقال الكرماني: (يحتمِلُ أنَّ المرئيَّ ما فسَّره اللهُ تعالى بقولِه: (لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى؛ ولهذا قال: مَا يَرَى، ولم يقُلْ: «مَن رأى»).

((تفسير الكرماني)) (1154/2).

وقال ابنُ عاشور: (الأظهَرُ أنَّ هذا ردٌّ لتكذيبِ مِنَ المُشركِينَ فيما بلَغَهم مِن الخَبَرِ عن رُؤيةِ النَّبيِّ - ﷺ - المَلَكَ جبريلَ، وهو الَّذي يُؤذِنُ به قولُه بعدُ: أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى).

((تفسير ابن عاشور)) (98/27).

عن عبد الله بن عباس –من طريق أبي إسحاق، عمَّن سمِعه– يقول: ﴿ما كَذَبَ الفُؤادُ ما رَأى﴾، قال: رأى محمدٌ ربَّه

عن عبد الله بن عباس: أنّ النبيَّ - ﷺ - رأى ربّه بعينه

علَّق ابنُ كثير (١٣/ ٢٥٦) على رواية ابن عباس التي أطلقت الرؤية بأنها محمولة على المقيّدة بالفؤاد.

انتقد ابنُ كثير (١٣/ ٢٥٦) هذه الرواية قائلًا: «ومَن رُوي عنه بالبصر فقد أغرب؛ فإنه لا يصح في ذلك شيء عن الصحابة - رضي الله عنهم -».

استدرك ابنُ تيمية (٦/ ١٣٢) على قول ابن عباس قائلًا: «وأمّا قول ابن عباس: رآه بفؤاده مرتين.

فإن كان استناده إلى قوله تعالى: ﴿ما كَذَبَ الفُؤادُ ما رَأى﴾ ثم قال: ﴿ولَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرى﴾ –والظاهر أنه مستنده– فقد صحّ عنه - ﷺ - أن هذا المرئيَّ جبريلُ - عليه السلام -، رآه مرتين في صورته التي خلق عليها».

وبنحوه قال ابنُ القيم (٣/ ٧٣).

1- قِراءةُ كَذَّبَ بتَشديدِ الذَّالِ، بمعنى: أنَّ فُؤادَ محمَّدٍ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ لم يُكَذِّبِ الَّذي رأى، ولم يَشُكَّ فيه، ولم يُنكِرْه، بل جعَلَه حَقًّا وصِدقًا. وقيل: المعنى: ما كَذَّب صاحِبُ الفؤادِ ما رأَى.

2- قِراءةُ كَذَبَ بتَخفيفِ الذَّالِ، أي: ما كَذَبَ فؤادُ مُحمَّدٍ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ فيما رأى بعَينِه؛ فقد رأى الحَقَّ. وقيل: ما كَذَب فؤادُ مُحمَّدٍ محمَّدًا الَّذي رأى، ولكِنَّه صَدَقَه.

أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى (12).

أي: أفتُجادِلونَ مُحَمَّدًا –يا كُفَّارَ قُرَيشٍ– على ما أخبَرَكم أنَّه رآه لَيلةَ الإسراءِ؟[104]

كما قال تعالى: سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا [الإسراء: 1].

(104) اختُلف في الذي رآه النبي – ﷺ – على قولين: الأول: أنه رأى ربَّه – عز وجل –.

وهو قول ابن عباس، وعكرمة وما في معناه.

الثاني: أنه رأى جبريل – عليه السلام – في صورته التي خُلِق عليها.

وهو قول عائشة، وابن مسعود – رضي الله عنهم –، وما في معناه.

ورجَّح ابنُ عطية (٨/ ١١٠ – ١١٢) القول الثاني مستندًا إلى السنة، من حديث عائشة – رضي الله عنها –[من طريق مسروق الآتي في تفسـير قوله: ﴿ولَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخرى﴾]، فقال: «وحديث عائشــة عن النبي – ﷺ – قاطع لكل تأويل في اللفظ؛ لأن قول غيرها إنما هو منتزعٌ مِن ألفاظ القرآن».

وعلَّق ابنُ تيمية (٦/ ١٣١) على القول الأول بقوله: «وليس قولُ ابن عباس أنّه رآه مُناقِضًا لهذا –أي: للقول الثاني–، ولا قوله رآه بفؤاده، وقد صحَّ عنه أنه قال: «رأيتُ ربي –تبارك وتعالى–».

لكن لم يكن هذا في الإسـراء، ولكن كان في المدينة لَمّا احتبس عنهم في صـلاة الصـبح، ثم أخبرهم عن رؤية ربّه –تبارك وتعالى– تلك الليلة في منامه.

وعلى هذا بنى الإمام أحمد وقال: نعم رآه حقًّا، فإنّ رؤيا الأنبياء حقٌّ ولا بد».

القِراءاتُ ذاتُ الأثَرِ في التَّفسيرِ:

1- قِراءةُ: أَفَتَمْرُونَهُ بفَتحِ التَّاءِ، وإسكانِ الميمِ، مِن غيرِ ألفٍ، بمعنى: أفتَجْحَدونَه؟[105]

2- قِراءةُ: أَفَتُمَارُونَهُ بضَمِّ التَّاءِ، وفَتحِ المِيمِ، وألِفٍ بعْدَها، بمعنى: أفتُجادِلونَه؟[106]

وَلَقَدْ رَآَهُ نَزْلَةً أُخْرَى (13).

أي: ولقد رأى محمَّدٌ جِبريلَ مرَّةً أُخرى على صُورتِه الحَقيقيَّةِ الَّتي خلَقَه اللهُ عليها.

عن مَسروقٍ، قال: قلْتُ: يا أُمَّ المؤمنينَ، أَنْظِريني، ولا تُعْجِليني، ألَمْ يَقُلِ اللهُ عزَّ وجلَّ: وَلَقَدْ رَآَهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ [التكوير: 23]، وَلَقَدْ رَآَهُ نَزْلَةً أُخْرَى؟ فقالت: أنا أوَّلُ هذه الأمَّةِ سَأل عن ذلك رسولَ اللهِ –

---

(105) قرأ بها حمزةُ، والكِسائيُّ، وخلَفٌ، ويعقوبُ.

يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (2/379).

ويُنظر لمعنى هذه القراءةِ: ((تفسـير ابن جرير)) (22/27)، ((معاني القراءات)) للأزهري (3/37)، ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: 685).

(106) قرأ بها الباقون.

يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (2/379).

ويُنظر لمعنى هذه القراءةِ: ((تفسـير ابن جرير)) (22/27)، ((معاني القراءات)) للأزهري (3/37)، ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: 685).

وقال القرطبي: (المعنيانِ مُتداخِلانِ؛ لأنَّ مُجادَلتَهم جُحودٌ.

وقيل: إنَّ الجُحودَ كان دائمًا منهم، وهذا جِدالٌ جَديدٌ).

((تفسير القرطبي)) (17/93).

ﷺ –، فقال: ((إنَّما هو جِبريلُ، لم أرَهُ على صورتِه الَّتي خُلِق عليها غيرَ هاتَينِ المرَّتَينِ، رأيْتُه مُنهَبِطًا مِن السَّماءِ، سادًّا عِظَمُ خَلْقِه ما بيْنَ السَّماءِ إلى الأرضِ!)).(107)

عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى (14).

أي: رأى محمَّدٌ جِبريلَ عندَ شَجَرةِ نَبْقٍ عَظيمةٍ في السَّماءِ تُسمَّى سِدرةَ المنتهَى.(108)

عن أَنَسِ بنِ مالِكٍ رَضِيَ اللهُ عنه، أنَّ النَّبيَّ – ﷺ – قال –كما في قِصَّةِ الإسراءِ والمِعراجِ–: ((... ثمَّ ذَهَبَ بي إلى السِّدرةِ المُنتَهى، وإذا وَرَقُها كآذانِ الفِيَلةِ، وإذا ثَمَرُها كالقِلالِ، فلمَّا غَشِيَها مِن أمرِ اللهِ ما غَشِيَ تغيَّرَت، فما أحَدٌ مِن خَلقِ اللهِ يَستطيعُ أن يَنعَتَها؛ مِن حُسنِها، فأوحى اللهُ إلَيَّ ما أوحى!)).(109)

---

(107) أخرجه مسلم (177).

(108) اختُلِف في سبب تسمية «سدرة المنتهى» بهذا الاسم على أقوال: الأول: لأنه ينتهي إليها علمُ كل عالم.

الثاني: لانتهاء ما يَهبِط من فوقها ويَصْعَدُ من تحتها من أمر الله إليها.

الثالث: لأنه إليها ينتهي كل مَن كان على سُنَّة رسول الله – ﷺ – ومنهاجه.

وعلَّق ابنُ عطية (٨/ ١١٣) على القول الثالث بقوله: «وهم المؤمنون حقًّا مِن كلِّ جيل».

ورجَّح ابنُ جرير (٢٢/ ٣٥) جواز كلّ الأقوال دون القطع بقول منها لصحتها، وعدم دليل التعيين لواحد منها، فقال: «وجائزٌ أن يكون قيل لها: سدرة المنتهى؛ لانتهاء عِلْمِ كلِّ عالمٍ من الخَلْقِ إليها، كما قال كعب، وجائزٌ أن يكون قيل لها ذلك لانتهاء ما يصعد من تحتها وينزل من فوقها إليها، كما رُوي عن عبد الله، وجائزٌ أن يكون قيل ذلك كذلك لانتهاء كلِّ مَن خلا من الناس على سُنَّة رسول الله – ﷺ – إليها، وجائزٌ أن يكون قيل لها ذلك لجميع ذلك، ولا خبر يقطع العذر بأنه قيل ذلك لها لبعض ذلك دون بعض، فلا قول فيه أصحُّ من القول الذي قال ربُّنا –جلَّ ثناؤه–، وهو أنها سدرة المنتهى».

(109) رواه البخاريُّ (3887)، ومسلمٌ (162) واللَّفظُ له.

وفي حديثِ أنَسِ بنِ مالِكٍ، عن مالِكِ بنِ صَعصَعةَ رَضِيَ اللهُ عنهما -في قِصَّةِ الإسراءِ والمِعراجِ- قال النَّبيُّ - ﷺ -: ((... فأتَيْنا السَّماءَ السَّابِعةَ، قيلَ: مَن هذا؟ قيل: جِبريلُ، قيلَ: مَن معك؟ قيل: محمَّدٌ. قيل: وقد أُرسِلَ إليه؟ مَرحَبًا به، ولَنِعْمَ المجيءُ جاءَ! فأتيتُ على إبراهيمَ فسَلَّمْتُ عليه، فقال: مَرحَبًا بك مِن ابْنٍ ونَبِيٍّ، فرُفِعَ لِيَ البَيتُ المعمورُ، فسألتُ جِبريلَ، فقال: هذا البَيتُ المَعمورُ، يُصَلِّي فيه كُلَّ يَومٍ سَبعونَ ألْفَ ملَكٍ، إذا خَرَجوا لم يَعودوا إليه آخِرَ ما عليهم! ورُفِعَت لي سِدرةُ المُنتهى، فإذا نَبِقُها كأنَّه قِلالُ هَجَرَ، ووَرَقُها كأنَّه آذانُ الفُيولِ)).[110]

وعن عبدِ اللهِ بنِ مَسعودٍ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: ((لَمَّا أُسرِيَ برَسولِ اللهِ - ﷺ - انتُهِيَ به إلى سِدْرةِ المُنتهى، وهي في السَّماءِ السَّادِسةِ، إليها يَنتَهي ما يُعرَجُ به مِنَ الأرضِ، فيُقبَضُ منها، وإليها ينتَهي ما يُهبَطُ به مِن فَوقِها، فيُقبَضُ منها)).[111]

---

(110) رواه البخاريُّ (3207) واللَّفظُ له، ومسلمٌ (164).

(111) رواه مسلم (173).

ذهب أكثَرُ العُلَماءِ -كما نَسَبه إليهم القاضي عِياضٌ وصَحَّحه- إلى أنَّ سِدرةَ المنتهى في السَّماءِ السَّابعةِ لا السَّادسةِ.

يُنظر: ((إكمال المعلم)) للقاضي عياض (1/525).

وذهب القُرطبيُّ والنَّوويُّ إلى الجمعِ بيْن الرِّوايةِ المرفوعةِ عن أنَسٍ الَّتي فيها أنَّ سِدرةَ المُنتَهى في السَّماءِ السَّابعةِ، والرِّوايةِ الموقوفةِ عن ابنِ مَسعودٍ الَّتي فيها أنَّها في السَّماءِ السَّادسةِ: بأنَّ سِدْرةَ المُنتهى أصلُها في السَّماءِ السَّادسةِ، وأعلاها في السَّماءِ السَّابعةِ.

يُنظر: ((تفسير القرطبي)) (17/95)، ((شرح صحيح مسلم)) للنووي (3/2).

عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى (15).

أي: عِندَ شَجَرةِ سِدْرةِ المُنتَهى الجنَّةُ الَّتي يَأوي ويَصيرُ إليها المُؤمِنونَ يومَ القيامةِ.(112)

كما قال تعالى: أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ [السجدة: 19].

إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى (16).

أي: رأى محمَّدٌ جِبريلَ حينَ غَشِيَ سِدْرةَ المُنتَهى ما غَشِيَها مِن أمْرِ اللهِ تعالى!

---

(112) عن ابن عباس، أنّه سأل كعب الأحبار عن جنة المأوى.

فقال: جنةٌ فيها طير خُضر، ترتقي فيها أرواح الشهداء.

أخرجه ابن أبي شيبة ١٣/ ١٥٠.

لم يذكر ابنُ جرير (٢٢/ ٤٠) في معنى: ﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ سوى قول ابن عباس من طريق عطية، وأبي العالية، وقول قتادة.

ونقل ابنُ عطية (٨/ ١١٤) قول ابن عباس وقتادة أن المعنى: «هي جنة يأوي إليها أرواح الشهداء والمؤمنين، وليست بالجنة التي وُعِد بها المؤمنون جنة النعيم».

ثم انتقده –مستندًا إلى عدم ثبوته– قائلًا: «وهذا يحتاج إلى سند، وما أراه يصح عن ابن عباس – رضي الله عنهما –».

ثم نقل عن الحسن قوله: «هي الجنة التي وُعِد بها المؤمن العالم».

ورجَّح ابنُ القيم (٣/ ٧٥) –مستندًا إلى النظائر– أن ﴿المأوى﴾ اسم مِن أسماء الجنة، فقال: «والصحيح: أنه اسم من أسماء الجنة، كما قال تعالى: ﴿وأمّا مَن خافَ مَقامَ رَبِّهِ ونَهى النَّفسَ عَنِ الهَوى * فَإنَّ الجَنَّةَ هِيَ المَأْوى﴾ [النازعات: ٤٠ – ٤١]».

وفي حديثِ أنَسِ بنِ مالِكٍ عن أبي ذَرٍّ الغِفاريِّ رَضِيَ اللهُ عنهما –في قِصَّةِ المِعراجِ– قال النَّبيُّ – ﷺ –: ((... ثمَّ انطَلَق بي جِبريلُ حتى نأتيَ سِدْرةَ المُنتَهى، فغَشِيَها ألوانٌ لا أدري ما هي!)).(113)

مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى (17).

أي: ما مالَ بَصَرُ مُحمَّدٍ – ﷺ – يمينًا ولا شِمالًا، ولا تجاوَزَ الحدَّ الَّذي رآه.

لَقَدْ رَأَى مِنْ آَيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى (18).

أي: لقد رأى محمَّدٌ – ﷺ – لَيلةَ الإسراءِ والمعراجِ مِن آياتِ رَبِّه وعجائِبِ مُلكِه الآياتِ الكُبرى.(114)

---

(113) رواه البخاريُّ (349)، ومسلمٌ (163) واللَّفظُ له.

(114) قل ابنُ عطية (٨/ ١١٥) عن جماعة من أهل التأويل أن معنى هذه الآية: «لقد رأى الكبرى من آيات ربّه».

ثم وجَّهه بقوله: «والمعنى: من آياتِ رَبِّهِ التي يمكن أن يراها البشر، ف ﴿الْكُبْرَى﴾ –على هذا– مفعول ب ﴿رَأَى﴾».

ثم نقل عن آخرين أن المعنى: «لَقَدْ رَأَى بعضًا من آيات ربِّه الْكُبْرَى».

ثم وجَّهه بقوله: «فـــ ﴿الْكُبْرَى﴾ –على هذا– وصف لـــ ﴿آياتِ﴾، والجمع مما لا يعقل في المؤنث يوصف أبدًا على حد وصف الواحدة».

اختلفت القرأة في قراءة قوله تعالى: ﴿اللَّاتَ﴾ على قراءتين: الأولى: ﴿اللَّاتَ﴾ بتخفيف التاء، وهو تأنيث للفظ الجلالة «الله».

الثانية: «اللَّاتَّ» بتشـــديد التاء، على أنه صـــفة للوثن الذي عبدوه، وقالوا: كان رجلًا يَلُتُّ السّـويق للحاج، فلما مات عكفوا على قبره فعبدوه.

ورجَّح ابنُ جرير (٢٢/ ٤٨) القراءة الأولى مستندًا إلى إجماع الحجة من القرأة عليها.

وعلَّق ابنُ تيمية (٦/ ١٣٤) على القراءتين بقوله: «ولا منافاة بين القولين والقراءتين، فإنه كان رجل يَلُتُّ السّـــويق على حجر، وعكفوا على قبره، وسمّوه بهذا الاسم، وخففوه، وقصـدوا أن يقولوا: هو الإله، كما كانوا يسـمّون الأصـنام آلهة، فاجتمع في الاسم هذا وهذا».

قال تعالى: سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا [الإسراء: 1].

سُورَةُ النَّجْمِ

الآيات (19–25)

أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى (19) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى (20) أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى (21)
تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى (22) إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ
سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى (23) أَمْ
لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى (24) فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى (25)

غريب الكلمات:

اللَّاتَ وَالْعُزَّى * وَمَنَاةَ: أصنامٌ مِن حِجارةٍ كانوا يَعبُدونَها، قيل: اشتَقُّوا اللَّات مِنَ اللهِ، والعُزَّى مِنَ العَزيزِ، ومَناةَ مِن المنَّانِ. وقيل: اللَّاتُ: كان رجُلًا يَلُتُّ السَّوِيقَ ويُطعِمُه الحاجَّ، فلمَّا ماتَ عَكَفُوا على قَبرِه يَعبُدونَه، والعُزَّى: تأنيثُ الأعزِّ، ومَناةُ: قيل: سُمِّيَتْ بذلك؛ لأنَّ دماءَ النَّسائِكِ تُمْنَى عندَها، أي: تُراقُ.

ضِيزَى: أي: جائِرةٌ ناقِصةٌ عَوْجاءُ، وأصلُ (ضيز): يدُلُّ على اعوِجاجٍ.

تَمَنَّى: أي: اشتَهى وأمَّلَ، والتَّمَنِّي: تَشَهِّي حُصولِ الأمرِ المَرغوبِ فيه، وأصلُ (مني): يدُلُّ على تَقديرِ شَيءٍ ومنه التَّمَنِّي: لأنَّه أملٌ يُقدِّرُه.

تفسير الآيات:

أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى (19) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى (20).

أي: أفرأيتُم -أيُّها المُشرِكونَ- اللَّاتَ والعُزَّى ومَناةَ الثَّالِثةَ الأُخرى، الَّتي تَعبُدونَها مِن دونِ اللهِ، وتَزعُمونَ أنَّها بَناتٌ للهِ تعالى؟[115]

أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى (21).

أي: أتختارونَ لأنفُسِكم -أيُّها المُشرِكونَ- صِنفَ الذُّكورِ مِنَ الأولادِ، فتُفَضِّلونَهم على الإناثِ، وتَنسُبونَ للهِ تعالى الإناثَ اللَّاتي تَكرهونَهنَّ ولا تَرضَونَ بهنَّ بناتٍ لكم؛ إذ زَعمتُم أنَّ تلك الأصنامَ بناتٌ للهِ؟!

---

(115) ذكر ابنُ عطية (٨/ ١١٥ - ١١٦) أن «اللات» صنم كانت العرب تعظِّمه، ثم نقل عن أبي عبيدة وغيره: أنه كان في الكعبة.

ثم نقل قول قتادة: كان بالطائف.

وقول ابن زيد: كان بنخلة عند سوق عكاظ.

ثم رجَّح -مستندًا إلى اللغة- قائلًا: «وقول قتادة أرجح، ويؤيده قول الشاعر:

وفَرَّتْ ثقيفٌ إلى لاتِها بمُنْقَلَبِ الخائف الخاسر».

وانتقد ابنُ تيمية (٦/ ١٣٥) -مستندًا إلى إجماع أهل السّير- قول أبي عبيدة قائلًا: «وأما ما ذكره معمر بن المثنى من أنّ هذه الثلاثة كانت أصنامًا في جوف الكعبة من حجارة، فهو باطل باتفاق أهل العلم بهذا الشأن، وإنما كان في الكعبة» هُبل «الذي ارتجز له أبو سفيان يوم أحد، وقال: اعْلُ هُبل، اعْلُ هُبل.

فقال النبي - ﷺ -: «ألا تجيبوه؟» قالوا: وما نقول؟ قال: «قولوا: الله أعلى وأجلّ»».

قال ابنُ تيمية (٦/ ١٣٥): «وما ذكره بعض المفسرين من أن» العُزّى «كانت لغَطَفان؛ فذلك لأنّ غَطَفان كانت تعبدها، وهي في جهتها، وأهل مكة يحجُّون إليها، فإنّ العُزّى كانت ببطن نخلة من ناحية عرفات».

كما قال تعالى: وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ * وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ [النحل: 57 – 59].

وقال سُبحانه: فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ * أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ * أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ * وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ [الصافات: 149 – 153].

وقال عزَّ وجلَّ: أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ [الزخرف: 16].

تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى (22).

أي: قِسْمتُكم تلك –أيُّها المُشرِكونَ– قِسْمةٌ جائِرةٌ ظالِمةٌ مائِلةٌ عن الحَقِّ والصَّوابِ!

إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى (23).

إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ.

أي: ما هذه الأسماءُ الَّتي سَمَّيتُم بها أصنامَكم –اللَّاتَ والعُزَّى ومَناةَ– إلَّا أسماءٌ لا معانيَ تحتَها، ولا حَقيقةَ لها، وإنَّما اختَرَعْتُموها أنتم وآباؤُكم، وزعمتُم أنَّها آلِهةٌ، وادَّعيتُم أنَّها بناتُ اللهِ!

مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ.

أي: ما أنزل اللهُ بذلك مِن حُجَّةٍ ولا بُرهانٍ يدُلُّ على ما زَعمتُم وادَّعيتُم بشَأنِها!

كما قال تعالى: وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ [الحج: 71].

وقال سُبحانَه: مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ * أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ * فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ [الصافات: 154 – 157].

إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ.

أي: ما يتَّبِعُ المُشرِكونَ إلَّا الوَهمَ وما تَميلُ إليه أنفُسُهم مِنَ الباطِلِ، بلا عِلمٍ ويقينٍ، ولا حُجَّةٍ وبُرهانٍ.

كما قال تعالى: إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ [يونس: 66].

وقال سُبحانَه: مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ * أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ * بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ [الزخرف: 20 – 22].

وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى.

أي: ولقد جاء أولئك المُشركِينَ الهُدى مِن ربِّهم؛ إذ أنزَلَ عليهم القُرآنَ وفيه الأمرُ بعِبادةِ اللهِ وَحْدَه، وبيانُ الحَقِّ مِنَ الباطِلِ.

أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى (24).

أي: أم للإنسانِ[116] ما يَتمنَّاه ويَشتَهيه مِنَ الخَيرِ؟!

كما قال تعالى: وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ [البقرة: 111].

وقال سُبحانَه: لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ [النساء: 123].

فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى (25).

أي: فلِلَّهِ وَحْدَه مُلكُ الآخِرةِ والدُّنيا، وله وَحْدَه مُطلَقُ التَّصرُّفِ فيهما؛ فيُعطي مَن يَشاءُ ما شاء، ويَمنَعُ مَن يشاءُ ما شاء؛ فالأمرُ كما يُريدُ الرَّحمنُ، لا كما يَتمنَّى الإنسانُ.

---

(116) ذكر ابنُ عطية (٨/ ١١٩) أن الإنسان في الآية اسم جنس، ثم ذكر قول ابن زيد، ثم علَّق بقوله: «بمعنى: أنه لم ينل كرامتنا بتأميل، بل بفضلٍ من الله تعالى، أو بمعنى: بل إنّه تمنى كرامتنا فنالها، إذ الكلّ لله –تعالى– يهب مَن يشاء، وهذا ما تقتضيه الآية، وإن كان اللفظ يَعُمُّه».

كما قال تعالى: قُلِ اللَّهُمَّ مالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهارِ وَتُولِجُ النَّهارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشاءُ بِغَيْرِ حِسابٍ [آل عمران: 26، 27].

وقال سُبحانَه: وَإِنَّ لَنا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولى [الليل: 13].

سُورةُ النَّجْمِ

الآيات (26-32)

وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ
وَيَرْضَى (26) إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنْثَى (27) وَمَا
لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا (28) فَأَعْرِضْ عَنْ
مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (29) ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ
بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى (30) وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى (31) الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ
الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ
أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى (32)

غريب الكلمات:

مَبْلَغُهُمْ: أي: غايتُهم، وأصلُ (بلغ): يدُلُّ على وُصولٍ إلى شَيءٍ.

بِالْحُسْنَى: أي: بالجنَّةِ والثَّوابِ، وأصلُ (حسن): يدُلُّ على ضِدِّ القُبحِ.

الْإِثْمِ: الإثمُ والأثامُ: اسمٌ للأفعالِ المُبَطِّئةِ عن الثَّوابِ، أو الذَّنْبُ الَّذي يَستحِقُّ العقوبةَ عليه، وأصلُ (أثم): يدُلُّ على البُطءِ والتَّأخُّرِ، والإثمُ مُشتَقٌّ مِن ذلك؛ لأنَّ ذا الإثمِ بَطيءٌ عن الخَيرِ، متأخِّرٌ عنه.

وَالْفَوَاحِشَ: جمعُ فاحِشَةٍ، أي: ما عَظُم قُبحُه مِنَ الكبائرِ، والفُحْشُ والفَحْشاءُ والفاحِشةُ: ما عظُم قُبحُه مِن الأفعالِ والأقوالِ، وكلُّ شَيءٍ جاوَز قَدْرَه فهو فاحِشٌ، ولا يكونُ ذلك إلَّا فيما يُتكَرَّهُ، وأصلُ (فحش): يدُلُّ على قُبحٍ في شَيءٍ وشَناعةٍ.

اللَّمَمَ: أي: صِغارَ الذُّنوبِ؛ مِنْ ألَمَّ بالشَّيءِ: إذا لم يتعَمَّقْ فيه ولم يَلزَمْه، وأصلُ اللَّمَمِ: ما يَعمَلُه الإنسانُ الحِينَ بعدَ الحِينِ، ولا يكونُ له عادةً ولا إقامة عليه.

أَجِنَّةٌ: جمعُ جَنينٍ: وهو الوَلَدُ ما دامَ في البَطنِ، وسُمِّيَ جَنينًا؛ لاجتِنانِه واستِتارِه، وأصلُ (جنن): يدُلُّ على سَترٍ.

فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ: أي: لا تُبَرِّئُوها عن الآثامِ، ولا تَمدَحوها بحُسنِ أعمالِها، وأصلُ (زكي): يدُلُّ على نَماءٍ وزِيادةٍ، وطهارةٍ.

تفسير الآيات:

وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى (26).

أي: وما أكثَرَ الملائِكَةَ الَّذين في السَّموات، ولا تنفعُ شَفاعتُهم شيئًا إلَّا مِن بَعدِ أن يأذَنَ اللهُ في الشَّفاعةِ لِمَن يَشاءُ منهم، وبَعْدَ رِضاه عن المَشفوعِ لهم الَّذين هم مِن أهلِ التَّوحيدِ!

كما قال تعالى: مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ [البقرة: 255].

وقال سُبحانَه: وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ [سبأ: 23].

وقال تعالى: وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى [الأنبياء: 28].

إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنْثَى (27).

أي: إنَّ الَّذين لا يُؤمِنونَ بالآخِرةِ لَيُسَمُّونَ مَلائكةَ اللهِ إناثًا، ويَزعُمونَ أنَّ الملائِكةَ بَناتُ اللهِ سُبحانَه!

كما قال تعالى: وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ [الزخرف: 19].

وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا (28).

وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ.

أي: وما للمُشرِكينَ بادِّعائِهم أنَّ الملائِكةَ بَناتُ اللهِ مِن عِلمٍ صَحيحٍ يَعتَمِدونَ عليه في إثباتِ صِحَّةِ دَعواهم؛ كمُشاهَدةٍ لخَلْقِهم، أو قِراءةِ ذلك في كِتابٍ مِن كُتُبِ اللهِ، أو سَماعِ رَسولٍ يُخبِرُهم بصِدقِ ما يَزعُمونَ.

إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ.

أي: ما يَتَّبِعونَ في زَعْمِهم هذا إلَّا الوَهمَ الكاذِبَ بغَيرِ عِلمٍ ولا يَقينٍ!

وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا.

أي: وإنَّ الظنَّ المَبنيَّ على الوَهمِ لا يُفيدُ شَيئًا مِنَ الحَقِّ، أو يقومُ مَقامَه.

عن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، عن النَّبيِّ – ﷺ – قال: ((إيَّاكم والظَّنَّ؛ فإنَّ الظَّنَّ أكذَبُ الحَديثِ)).(117)

فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (29).

فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا.

أي: فأعْرِضْ –يا محمَّدُ– عمَّنْ أعرَضَ عن القُرآنِ.

---

(117) رواه البخاري (6064)، ومسلم (2563).

كما قال تعالى: وَلَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا [آل عمران: 176].

وقال سُبحانَه: فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ [النساء: 63].

وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا.

أي: ولم يَطلُبْ إلَّا الحَياةَ الدُّنيا ولَذَّاتِها.

ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى (30).

ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ.

أي: طَلَبُ الدُّنيا والسَّعيُ لها: هو مُنتهى عِلْمِهم وغايتُه؛ فليس لهم عِلمٌ فَوقَ ذلك.

كما قال الله تعالى: يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ [الروم: 7].

إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ.

أي: إنَّ رَبَّك -يا محمَّدُ- هو أعلَمُ بمَن حادَ عن طَريقِه، فلم يتَّبِعِ الحَقَّ.

وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى.

أي: ورَبُّك -يا محمَّدُ- أعلَمُ بالَّذين اهتَدَوا إلى الحَقِّ.

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى (31).

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ.

أي: ولله وَحْدَه مُلْكُ جَميعِ ما في السَّمَواتِ وما في الأرضِ.(118)

لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا.

أي: لِيَجزيَ اللهُ الَّذين أساؤُوا العَمَلَ جَزاءَ ما عَمِلوه مِن كُفرٍ أو عِصيانٍ.

وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى.

أي: ولِيُثيبَ اللهُ الَّذين أحسَنوا العَمَلَ فآمَنوا به وأطاعوه المَثوبةَ الحُسنى، وهي الجنَّةُ.

---

(118) ذكر ابنُ عطية (٨/ ١٢٠) أن قوله تعالى: ﴿ولِلَّهِ ما في السَّـماواتِ وما فِي الأَرْضِ﴾ «اعتراضٌ بين الكلامَيْن»، ونقل عن بعض النحويين: أن «اللام متعلقة بما في المعنى من التقدير؛ لأن تقديره: ولله ما في السَّـماواتِ وما في الأَرض يضلّ من يشاء ويهدي من يشاء لِيَجْزِيَ».

ثم علَّق عليه بقوله: «والنظر الأول أقلّ تكلُّفًا من هذا الإضمار».

ونقل عن قوم: أن «اللام متعلقة في أول السورة: ﴿إِنْ هُوَ إِلّا وحْيٌ يُوحى﴾ [النجم: ٤]».

ثم انتقده قائلًا: «وهذا بعيد».

الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى (32).

الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ.

أي: الَّذين يَبتَعِدونَ عن كبائِرِ الذُّنوبِ، ويَبتَعِدونَ عن الفواحِشِ، كالزِّنا وعَمَلِ قَومِ لُوطٍ.(119)

---

(119) قال ابنُ عطية (٨/ ١٢٠ – ١٢١) عند تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ﴾: «واختلف الناس في الكبائر، ما هي؟ فذهب الجمهور إلى أنها السَّبع الموبقات التي وردت في الأحاديث، وقد مضى القول في ذكرها واختلاف الأحاديث فيها في سورة النساء.

وتحرير القول في الكبائر: أنها كل معصية يوجد فيها حدٌّ في الدنيا، أو تَوَعُّدٌ بنار في الآخرة، أو لعنة أو نحو هذا خاصٌّ بها.

فهي كثيرة العدد، ولهذا قال ابن عباس – رضي الله عنهما – حين قيل له: أَسَبْعٌ هي؟ فقال: هي إلى السبعين أقربُ منها إلى السبع».

اختُلف في معنى: ﴿إِلَّا اللَّمَمَ﴾ في هذه الآية على أقوال: الأول: إلا اللَّمم الذي أَلَمُّوا به مِن الإثم والفواحش في الجاهلية قبل الإسلام.

الثاني: اللَّمَم: صغائر الذنوب من النّظرة والقُبلة والغمزة، وما كان دون الزنا.

الثالث: اللَّمم: ما لم يجب عليه حدٌّ في الدنيا، ولم يستحقّ عليه في الآخرة عذاب.

الرابع: أن يُلِمَّ بالذنب مرَّة، ثم يتوب.

الخامس: ما يَهُمُّ به الإنسان.

السادس: ما خطر على القلب.

ووجَّه ابنُ عطية (٨/ ١٢١) القول الثاني بقوله: «وهي ما لا حدَّ فيه ولا وعيد مختصًّا بها مذكورًا لها، وإنما يقال صغار بالإضافة إلى غيرها، وإلا فهي بالإضافة إلى الناهي عنها كبائر كلها، ويعضد هذا قول النبي – ﷺ –: «إنّ الله كتب على ابن آدم حظّه من الزنا لا محالة، فزِنا العين النّظر، وزِنا اللسان المنطق، والفَرْج يكذِّب ذلك أو يصدّقه، فإن تقدّم فَرْجه فهو زانٍ، وإلا فهو اللَّمَم».

ثم علَّق عليه بقوله:» وتظاهر العلماء في هذا القول، وكثُر المائل إليه «.

ووجَّه القول الرابع بقوله:» فكأن هذا التأويل يقتضي الرفق بالناس في إدخالهم في الوعد بالحسنى؛ إذ الغالب في المؤمنين مواقعة المعاصي، وعلى هذا أنشدوا –وقد تمثل به النبي – ﷺ –-:

إن تَغفِرِ اللهمَّ تَغفِرْ جمًّا وأيُّ عبدٍ لك لا ألَمّا".

ورجَّح ابنُ جرير (٢٢/ ٦٨) –مستندًا إلى اللغة– أن الاستثناء منقطع، وأن المعنى: «الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللّمَم بما دون كبائر الإثم، ودون الفواحش الموجبة الحدودَ في الدنيا والعذاب في الآخرة، فإنّ ذلك معفوٌّ لهم عنه».

ثم قال: «وذلك عندي نظير قوله –جلَّ ثناؤه–: ﴿إنْ تَجْتَنِبُوا كَبائِرَ ما تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ ونُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١]».

وزاد ابنُ عطية (٨/ ١٢٢ – ١٢٣) قولين آخرين: أحدهما عن نفطويه: «اللّمَم: ما ليس بمعتاد».

والآخر عن الحسن بن الفضل: «اللّمَم: نظرة الفجأة».

ورجَّح ابنُ القيم (٣/ ٧٨) القول الثاني، فقال: «والصحيح قول الجمهور: أن اللّمَم صغائر الذنوب، كالنّظرة، والغَمزة، والقُبلة، ونحو ذلك، هذا قول جمهور الصحابة ومن بعدهم، وهو قول أبي هريرة، وعبد الله بن مسعود، وابن عباس، ومسروق، والشعبي».

ولم يذكر مستندًا، ثم علَّق بقوله: «ولا يُنافي هذا قول أبي هريرة، وابن عباس في الرواية الأخرى: إنه يُلِمّ بالكبيرة ثم لا يعود إليها [وهو القول الرابع]، فإنّ» اللمم «إما أنه يتناول هذا وهذا ويكون على وجهين، كما قال الكلبي، أو أنّ أبا هريرة وابن عباس ألحقا من ارتكب الكبيرة مرة واحدة ولم يُصرّ عليها، بل حصلت منه فلتة في عمره باللّمم، ورأيا أنها إنّما تتغلظ وتكبر وتعظم في حقّ مَن تكرّرت منه مرارًا عديدة.

وهذا من فقه الصحابة – رضي الله عنهم – وغوْر علومهم، ولا ريب أنّ الله يسامح عبده المرة والمرتين والثلاث، وإنما يُخاف العَنت على مَن اتخذ الذنب عادته، وتكرّر منه مرارًا كثيرة، وفي ذلك آثار سلفية، والاعتبار بالواقع يدل على هذا...

فأول ذنب إن لم يكن هو اللّمم، فهو من جنسه ونظيره، فالقولان عن أبي هريرة وابن عباس متفقان غير مختلفين».

ثم قال: «وهذه اللفظة فيها معنى المقاربة والإعتاب بالفعل حينًا بعد حين، فإنه يقال: ألَمَّ بكذا: إذا قاربه ولم يَغْشه، ومن هذا سُمِّيت القُبلة والغَمزة لممًا؛ لأنها تُلِمّ بما بعدها، ويقال: فلان لا يزورنا إلا لمامًا، أي: حينًا بعد حين.

فمعنى اللفظة ثابت في الوجهين اللذيْن فسّر الصحابة بهما الآية، وليس معنى الآية: الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم فإنهم لا يجتنبونه.

فإن هذا يكون ثناء عليهم بترك اجتناب اللمم، وهذا محال، وإنما هذا استثناء من مضمون الكلام ومعناه، فإن سياق الكلام في تقسيم الناس إلى محسن ومسيء، وأنّ الله يجزي هذا بإساءته وهذا بإحسانه، ثم ذكر المحسنين ووصفهم بأنهم يجتنبون كبائر الإثم والفواحش، ومضمون هذا: أنه لا يكون محسنًا مجزيًّا بإحسانه، ناجيًا من عذاب الله، إلا مَن اجتنب كبائر الإثم والفواحش، فحسن حينئذ استثناء اللّمَم، وإن لم يدخل في الكبائر، فإنه داخل في جنس الإثم والفواحش».

كما قال تبارك وتعالى: فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ... [الشورى: 36، 37].

إِلَّا اللَّمَمَ.

أي: إلَّا صَغائِرَ الذُّنوبِ دونَ إصرارٍ عليها، فهي مَعفوٌّ عنها، وليس ذلك بمُخرجٍ لصاحِبِها مِن جُملةِ المُحسِنينَ.

عن ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنهما، قال: ما رأيتُ شَيئًا أشبَهَ باللَّمَمِ مِمَّا قال أبو هُرَيرةَ عن النَّبيِّ – ﷺ – : ((إنَّ اللهَ كَتَب على ابنِ آدَمَ حَظَّه مِنَ الزِّنا، أدرَكَ ذلك لا مَحالةَ؛ فزِنا العَينِ النَّظَرُ، وزِنا اللِّسانِ المَنطِقُ، والنَّفسُ تَمَنَّى وتَشتَهي، والفَرْجُ يُصَدِّقُ ذلك كُلَّه ويُكَذِّبُه)).(120)

إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ.

أي: إنَّ رَبَّك –يا مُحمَّدُ– واسِعُ المَغفِرةِ لذُنوبِ عِبادِه، فيَستُرُها عليهم، ويَتجاوَزُ عن مُؤاخَذتِهم بها.

كما قال تعالى: إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا [النساء: 31].

---

(120) رواه البخاري (6243) واللفظ له، ومسلم (2657).

وقال سُبحانَه: قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ [الزمر: 53].

وقال عزَّ وجلَّ: وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا [الطلاق: 5].

وعن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، أنَّ رَسولَ اللهِ – ﷺ – كان يقولُ: ((الصَّلَواتُ الخَمْسُ، والجُمُعةُ إلى الجُمُعةِ، ورَمَضانُ إلى رمَضانَ: مُكَفِّراتٌ ما بيْنَهنَّ إذا اجتَنَبَ الكبائِرَ)).(121)

هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ.

أي: ربُّكم أعلَمُ بكم حينَ خَلَق أباكم آدمَ مِن الأرضِ قبْلَ أن تُوجَدوا، وحينَ كُنتُم حَمْلًا مَستورينَ في بُطونِ أمَّهاتِكم قبْلَ أن تُولَدوا.(122)

---

(121) رواه مسلم (233).

(122) ذكر ابنُ عطية (٨/ ١٢٣) في قوله تعالى: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ﴾ قولين: الأول: «العامل في ﴿إذ﴾ هو ﴿أعلم﴾».

والثاني عن بعض النحاة: «العامل فيها فعل مضمر تقديره: اذكروا إذ».

ثم رجَّح القول الأول؛ لأنه أظهر قائلًا: «والمعنى الأول أبْيَن».

وعلَّل ذلك بقوله: «لأن تقديره: فإذا كان عِلْمه قد أحاط بكم وأنتم في هذه الأحوال ووقع بكم التخفي فأحرى أن يقع بكم وأنتم تغفلون وتجترحون».

وذكر أنّ الإنشاء من الأرض «يحتمل أن يُراد به إنشاء الغذاء».

فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ.

أي: فلا تَشهَدوا لأنفُسِكم بالبَراءةِ مِنَ الذُّنوبِ والآثامِ، أو تمَدَحوها بحُسنِ الأعمالِ.(123)

كما قال تعالى: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا * انْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُبِينًا [النساء: 49، 50].

وعن مُحمَّدِ بنِ عَمرِو بنِ عَطاءٍ، قال: سَمَّيتُ ابنَتي بَرَّةَ، فقالت لي زَينبُ بنتُ أبي سَلَمةَ: ((إنَّ رَسولَ اللهِ - ﷺ - نهى عن هذا الاسمِ، وسُمِّيتُ بَرَّةَ، فقال رَسولُ اللهِ - ﷺ -: لا تُزكُّوا أنفُسَكم؛ اللهُ أعلَمُ بأهلِ البِرِّ منكم! فقالوا: بمَ نُسَمِّيها؟ قال: سَمُّوها زَينبَ)).(124)

وعن أبي بَكْرةَ الثَّقَفيِّ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: أثْنَى رَجُلٌ على رَجُلٍ عندَ النَّبيِّ - ﷺ -، فقال: ((وَيْلَكَ! قَطَعْتَ عُنُقَ صاحِبِك، قَطَعْتَ عُنُقَ صاحِبِك -مِرارًا-، ثمَّ قال: مَن كان مِنْكم مادِحًا أخاه لا مَحالةَ

---

(123) ذكر ابن عطية (٨/ ١٢٣) في قوله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ﴾ أن «ظاهره النهي عن أن يُزَكِّي أحدٌ نفسه».

ثم ذكر احتمالًا آخر: «أن يكون نهيًا أن يُزَكِّي بعض الناس بعضًا».

ثم علَّق عليه بقوله: «وإذا كان هذا فإنما يُنهى عن تزكية السُّمعة والمدح للدنيا، أو القطع بالتزكية، ومن ذلك الحديث في عثمان بن مظعون عند موته، وأما تزكية الإمام والقدوة أحدًا ليُؤتَمَّ به أو لِيَتَهَمَّمَ الناس بالخير فجائز، وقد زكّى رسول الله - ﷺ - بعض أصحابه، أبا بكر وغيره - رضي الله عنهم -، وكذلك تزكية الشهود في الحقوق جائز للضرورة إليها».

(124) أخرجه مسلم (2142).

فلْيَقُلْ: أحسَبُ فُلانًا، واللهُ حَسيبُه،[125] ولا أُزَكِّي على اللهِ أحدًا،[126] أحسَبُه كذا وكذا، إنْ كان يَعلَمُ ذلك منه)).[127]

هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى.

أي: اللهُ أعلَمُ بمَن اتَّقى سَخَطَه وعَذابَه مِنْكم، فامتثَلَ أوامِرَه، واجتنَبَ نواهيَه.

(125) أي: كافيه، أو يكون فَعِيلٌ مِن الحِسابِ، أي: مُحاسِبُه على عمَلِه الَّذي يَعلَمُ حقيقتَه.
يُنظر: ((فتح الباري)) لابن حجر (10/477).
(126) أي: لا أقطعُ على عاقِبةِ أحدٍ، ولا على ما في ضميرِه؛ لكونِ ذلك مُغيَّبًا عنه.
يُنظر: ((فتح الباري)) لابن حجر (10/477).
(127) أخرجه البخاري (2662) واللَّفظُ له، ومسلم (3000).

سُورةُ النَّجْمِ

الآيات (33–55)

أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى (33) وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى (34) أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى (35)
أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى (36) وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى (37) أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى
(38) وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى (39) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى (40) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ
الْأَوْفَى (41) وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى (42) وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى (43) وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ
وَأَحْيَا (44) وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى (45) مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى (46) وَأَنَّ عَلَيْهِ
النَّشْأَةَ الْأُخْرَى (47) وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى (48) وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى (49) وَأَنَّهُ أَهْلَكَ
عَادًا الْأُولَى (50) وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى (51) وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى
(52) وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى (53) فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى (54) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى (55)

غريب الكلمات:

وَأَكْدَى: أي: مَنَع وانقطَع، وأصلُه مِنَ الكُدْيةِ -وهي ما صَلُبَ مِنَ الأرضِ- يقالُ لِمَن حفَرَ بِئرًا ثمَّ بَلَغ إلى حَجَرٍ لا يتهَيَّأُ له فيه حَفرٌ: قد أكْدَى، فشُبِّه الرَّجُلُ إذا أعطَى يسيرًا ثمَّ قَطَع بالحافرِ يَحفِرُ فيُكْدي فيُمْسِكُ عن الحفرِ.

يُنَبَّأْ: أي: يُخْبَرْ، والنَّبَأُ: الخَبَرُ ذو الفائدةِ العَظيمةِ يَحصُلُ به عِلمٌ أو غَلَبةُ ظَنٍّ، وأصلُ (نبأ): الإتيانُ مِن مكانٍ إلى مكانٍ، والخبرُ يأْتي مِن مكانٍ إلى مكانٍ.

وَفَّى: أي: أكمَلَ وأتَمَّ ما يَجِبُ للهِ تعالى عليه بالطَّاعةِ والصَّبرِ، وأصلُ (وفي): يدُلُّ على إكمالٍ وإتمامٍ.

أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى: أي: لا تَحمِلُ نَفْسٌ آثِمةٌ إثْمَ نفْسٍ أُخرى، ولا تُؤخَذُ نفْسٌ بذَنْبِ غيرِها، والوِزْرُ: الإثمُ والثِّقْلُ، وأصلُ (وزر): يدُلُّ على الثِّقْلِ في الشَّيءِ.

الْأَوْفَى: أي: الأكمَلَ والأتَمَّ، وأصلُ (وفي): يدُلُّ على إكمالٍ وإتمامٍ.

نُطْفَةٍ: النُّطفةُ: الماءُ الصَّافي، ويُعَبَّرُ بها عن ماءِ الرَّجُلِ والمرأةِ، وأصلُ (نطف): يدُلُّ على ندوةٍ وبَلَلٍ.

تُمْنَى: أي: تُصَبُّ، وتُلْقَى في الرَّحِمِ، مِن قَولِك: أَمْنَى الرَّجُلُ: إذا خرَجَ منه المَنِيُّ، والمَنِيُّ: الماءُ الَّذي يُخلَقُ ويُقدَّرُ منه الوَلَدُ، ويَحتَمِلُ أن يكونَ مِن قَولِك: مَنَى اللهُ الشَّيءَ: إذا خلَقه، فكأنَّه قال: تُخْلَقُ وتُقَدَّرُ، وأصلُ (مني): يدُلُّ على تقديرِ شَيءٍ ونَفاذِ القَضاءِ به، وماءُ الإنسانِ مَنِيٌّ، أيْ: يُقَدَّرُ منه خِلْقَتُه.

النَّشْأَةَ الأُخرَى: أي: الخَلْقَ الثَّانِيَ لِلبَعثِ يومَ القيامةِ، وأصلُ (نشأ): يدُلُّ على ارتِفاعٍ في شَيءٍ.

وَأَقْنَى: أي: أعطاهم قُنْيةً يقتَنونَها مِن أُصولِ الأموالِ وما يَدَّخِرونَه بعدَ الكِفايةِ؛ مِن قُنْيَةِ المالِ: وهو كَسْبُه وادِّخارُه، يُقالُ: أقْناه اللهُ مالًا: أي: أَكْسَبه إيَّاه، وقيل غيرُ ذلك.

الشِّعْرَى: اسمُ نَجمٍ في السَّماءِ، وكان ناسٌ في الجاهليَّةِ يَعبُدونَها.

وَالْمُؤْتَفِكَةَ: أي: قُرى قَومِ لُوطٍ المَخْسوفَ بها الَّتي ائتَفَكَت بأهلِها: أي: انقَلَبَت فصار أعلاها أسفَلَها، ومعنى الائتِفاكِ في اللُّغةِ: الانقِلابُ، وأصلُ (أفك): يدُلُّ على قَلبِ شَيءٍ وصَرفِه عن جِهتِه.

أَهْوَى: أي: طَرَحَها مِن هواءٍ عالٍ إلى أسفَلَ، وأصلُ (هوي): يدُلُّ على خُلُوٍّ وسُقوطٍ.

فَغَشَّاهَا: أي: ألبَسَها، والتَّغْشيةُ: إلباسُ الشَّيءِ الشَّيءَ، وأصلُ (غشي): يدُلُّ على تَغطيةِ شَيءٍ بشَيءٍ.

آَلَاءِ: أي: نِعَمِ، واحِدُها أَلًى وإِلًى.

تَتَمَارَى: أي: تَرتابُ وتَشُكُّ وتُجادِلُ، والمِرْيةُ: التَّرَدُّدُ في الأمرِ، وهو أخَصُّ مِنَ الشَّكِّ، وأصلُ (مري): يدُلُّ على صَلابةٍ في شَيءٍ؛ لأنَّ المِراءَ كَلامٌ فيه بَعضُ الشِّدَّةِ.

تفسير الآيات:

أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى (33).

أي: أفرأيتَ -يا محمَّدُ- الَّذي أعرَضَ عن الحَقِّ!

كما قال تعالى: فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى * وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى [القيامة: 31، 32].

وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى (34).

أي: وأعطَى قليلًا مِنَ الخَيرِ ثمَّ انقطَع عنه، ولم يَستَمِرَّ على ذلك!

أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى (35).

أي: أعِندَه عِلمُ ما غاب عن النَّاسِ، فهو يراه؟!

أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى (36).

أي: أم لمْ يُخبَرْ هذا الكافِرُ بما في التَّوراةِ الَّتي أنزَلَها اللهُ على موسى؟!

وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى (37).

أي: أم لمْ يُخبَرْ أيضًا بما في صُحُفِ إبراهيمَ الَّذي أطاع اللهَ تعالى في جميعِ أوامِرِه ونواهيه، وأكمَلَ شَرائِعَ الإسلامِ الَّتي فرَضَها اللهُ عليه، فلم يَنقُصْ منها شَيئًا؟

كما قال تعالى: وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ [البقرة: 124].

وقال سُبحانَه: فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ * فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ* فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ * وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ * وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ * وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ * سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ *كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ [الصافات: 101 – 111].

وقال الله عزَّ وجلَّ: إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى [الأعلى: 18، 19].

أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى (38).

أي: وذلك الَّذي في صُحُفِ إبراهيمَ وموسى هو أنه لا تَحمِلُ نَفْسٌ آثِمةٌ ذَنْبَ نفسٍ أُخرى؛ فكُلُّ إنسانٍ يُجازَى بعَمَلِه، ولا يَحمِلُ ذنْبَ غَيرِه![128]

---

(128) اختُلف في معنى: ﴿وفّى﴾ في هذه الآية على أقوال: الأول: أنه وفّى بتبليغ هذه الآيات، وهي: ﴿ألّا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى﴾.

الثاني: وفّى بما رأى في المنام من ذبح ابنه، وأن قوله: ﴿ألّا تزرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخرى﴾ مِن المؤخَّر الذي معناه التقديم؛ وقالوا: معنى الكلام: أم لم يُنَبَّأ بما في صحف موسى، ألا تزر وازرةٌ وزر أخرى، وبما في صحف إبراهيم الذي وفّى.

الثالث: وفّى ربَّه جميع شرائع الإسلام.

الرابع: وفّى في كلمات كان يقولها، وهي قوله تعالى: ﴿فَسُبْحانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ [الروم: ١٧].

الخامس: وفّى ربَّه عمل يومه.

كما قال الله تعالى: وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى [الأنعام: 164].

السادس: أنه عاهد ألا يسأل مخلوقًا شيئًا، فلما قُذف في النار قال له جبريل – عليه السلام –: ألك حاجة؟ فقال: أمّا إليك فلا.

فوفّى بما عاهد.

السابع: أنه أدّى الأمانة.

الثامن: وفّى بما أُمِر به من تبليغ الرسالة.

التاسع: وفّى بشأن المناسك.

ورجَّح ابنُ جرير (٢٢/ ٧٨) –مستندًا إلى دلالة العموم– «قول من قال: وفّى جميع شرائع الإسلام، وجميع ما أُمر به من الطاعة».

وعلَّل ذلك بقوله: «لأن الله –تعالى ذكره– أخبر عنه أنه وفّى، فعمَّ بالخبر عنه عن توفيته جميع الطاعة، ولم يَخْصُص بعضًا دون بعض».

ونحوه ابنُ عطية (٨/ ١٢٥) مستندًا إلى القرآن، فقال بعد أن ذكر جُلَّ هذه الأقوال: «والأقوى من هذه كلّها القول العامُّ لجميع الطاعات المستوفية لدين الإسلام، فرُوي أنها لم تُفرَض على أحد مُكمَّلة فوفّاها إلا على إبراهيم ومحمد – ﷺ –، ومن الحجة لذلك قوله تعالى: ﴿وإِذِ ابْتَلى إبْراهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِماتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٢٤]».

وذكر ابنُ كثير (١٣/ ٢٧٨) قول ابن جبير، وقتادة، في كونهما يفيدان العموم، ثم قال: «ويشهد له قوله تعالى: ﴿وإِذِ ابْتَلى إبْراهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِماتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قالَ إنِّي جاعِلُكَ لِلنّاسِ إمامًا﴾ [البقرة: ١٢٤]، فقام بجميع الأوامر، وترك جميع النواهي، وبلَّغ الرسالة على التمام والكمال، فاستحق بهذا أن يكون للناس إمامًا يُقتدى به في جميع أحواله وأفعاله وأقواله، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أوْحَيْنا إلَيْكَ أنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إبْراهِيمَ حَنِيفًا وما كانَ مِنَ المُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٣]».

وعلَّق ابنُ جرير (٢٢/ ٧٨ – ٧٩) على القول الرابع والخامس بقوله: «ولو صحَّ الخبران اللذان ذكرناهما أو أحدهما عن رسول الله – ﷺ –[وهما الحديث الوارد عن أبي أمامة، وحديث معاذ بن أنس] لم نَعْدُ القول به إلى غيره، ولكن في إسنادهما نظرٌ، يجب التثبُّت فيهما من أجله».

وانتقد ابنُ جرير القول الأول –مستندًا إلى دلالة ظاهر اللفظ– قائلًا: «فإن قال قائل: فإنه قد خصَّ ذلك بقوله: ﴿وفّى ألّا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى﴾ فإنّ ذلك مما أخبر الله –جلَّ ثناؤه– أنه في صُحف موسى وإبراهيم، لا مما خصَّ به الخبر عن أنه وفّى، وأما التَّوْفية فإنها على العموم».

وقال سُبحانَه: وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا * اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا * مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى [الإسراء: 13 – 15].

وقال عزَّ وجلَّ: وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى [فاطر: 18].

وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى (39).

أي: وأنَّه ليس للمَرءِ في الآخِرةِ إلَّا ما عَمِلَه في الدُّنيا.(129)

---

(129) اختُلِف في معنى: ﴿وأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسانِ إلّا ما سَعى﴾ على أقوال: الأول: أنها منسوخة بقوله: ﴿واتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإيمانٍ أَلْحَقْنا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الطور: ٢١]، فأُدخِل الأبناء الجنة بصلاح الآباء.

الثاني: أنّ ذلك كان لقوم إبراهيم وموسى؟، وأما هذه الأمَّة فلهم ما سَعَوا وما سعى غيرُهم.

الثالث: أنّ المراد بالإنسان هاهنا: الكافر، فأمّا المؤمن فله ما سعى وما سُعِي له.

الرابع: أنه ليس للإنسان إلاّ ما سعى من طريق العدل، فأمّا مِن باب الفضل فجائزٌ أن يزيده الله ما يشاء.

وبيَّن ابنُ جرير (٢٢/ ٨٠) أن القول بالنسخ مذكور عن ابن عباس، ثم ساق رواية علي بن أبي طلحة في ذلك.

وانتقد ابنُ عطية (٨/ ١٢٦) القول بالنسخ –مستندًا إلى عدم التعارض– قائلًا: «وهذا لا يصِحُّ عندي عن ابن عباس – رضي الله عنهما –؛ لأنه خبر لا يُنسَخ، ولأن شروط النسخ ليست هنا».

غير أنه ذكَر له وجْهًا يُمكِن أن يُحمَل عليه، فقال: «اللهم، إلا أن يُتَجَوَّز في لفظة النسخ؛ ليُفهِم سائلًا».

وكذا ابنُ تيمية (٦/ ١٤٦ – ١٤٧) فقال: «اللفظ المنقول عن ابن عباس رواه علي بن أبي طلحة الوالبي عنه، وقد قيل: إنه لم يسمعه منه، بل من أصحاب ابن عباس.

قال: فأدخل الله الأبناء بصلاح الآباء الجنة.

ولم يذكر نسخًا».

ثم وجَّه ابنُ تيمية القول بالنسخ –على افتراض أن ابن عباس قاله– بقوله: «ولو ذكره فمراد الصحابة بالنسخ: المذكور في قوله: ﴿فَيَنْسَخُ اللَّهُ ما يُلْقِي الشَّيْطانُ﴾ [الحج: ٥٢]، وهو فهْم معنى الآية على غير الصواب والمراد منها، فقد بيَّن ابن عباس أنه لم يُرد بهذه الآية أن الإنسان لا ينتفع بعمل غيره، فإنّ الأبناء انتفعوا بعمل آبائهم، فهذا نسخٌ لما فُهم منها، لا لما دلت عليه».

ثم علَّق بقوله: «وهذا القول المنقول عن ابن عباس أحسن ما قيل فيها، وقد ضعَّفه مَن لم يفهمه».

وكذا ابنُ القيم (٣/ ٨٢) مستندًا إلى الدلالة العقلية، فقال: «وهذا ضعيفٌ أيضًا، ولا يُرفع حكم الآية بمجرد قول ابن عباس – رضي الله عنهما – ولا غيره: إنها منسوخة.

والجمع بين الآيتين غير متعذر ولا ممتنع، فإنّ الأبناء تبعوا الآباء في الآخرة كما كانوا تبعًا لهم في الدنيا، وهذه التبعيّة هي من كرامة الآباء وثوابهم الذي نالوه بسعيهم، وأما كون الأبناء لحقوا بهم في الدرجة بلا سعي منهم فهذا ليس هو لهم، وإنما هو للآباء، أقرّ الله أعينهم بإلحاق ذُرّيتهم بهم في الجنة، وتفضّل على الأبناء بشيء لم يكن لهم كما تفضّل بذلك على الوِلدان والحُور العين والخلْق الذين ينشئهم للجنة بغير أعمال والقوم الذين يُدخلهم الجنة بلا خير قدّموه ولا عملٍ عملوه.

فقوله تعالى: ﴿أَلّا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى﴾، وقوله: ﴿وأَنْ لَيْسَ لِلْإنْسانِ إلّا ما سَعى﴾ آيتان مُحكمتان، يقتضيهما عدل الرّبّ –تعالى– وحكمته وكما له المقدّس، والعقل والفطرة شاهدان بهما، فالأولى: تقتضي أنه لا يعاقب بجُرم غيره، والثانية: تقتضي أنه لا يفلح إلا بعمله وسعيه، فالأولى: تؤمّن العبد من أخْذه بجريرة غيره كما يفعله ملوك الدنيا، والثانية: تقطع طمعه من نجاته بعمل آبائه وسلفه ومشايخه كما عليه أصحاب الطمع الكاذب، فتأمل حسن اجتماع هاتين الآيتين».

ورجَّح ابنُ عطية (٨/ ١٢٧) –مستندًا إلى دلالة المعروف لغة– قائلًا: «والتحرير عندي في هذه الآية: أنّ مَلاك المعنى هو في اللام من قوله تعالى: ﴿لِلْإنْسانِ﴾، فإذا حقّقت الشيء الذي حقُّ الإنسان أن يقول فيه:» لي كذا «لم تجِدْه إلا سعيه، وما تمّ بَعْدُ من رحمة بشفاعة أو رعاية أبٍ صالح أو ابن صالح أو تضعيف حسنات أو تغمُّد بفضل أو رحمة دون هذا كلّه، فليس هو للإنسان ولا يَسَعُه أن يقول:» لي كذا وكذا «، إلا على تجوُّز وإلحاق بما هو له حقيقة».

ومثله رجَّح ابنُ تيمية (٦/ ١٤٤) –مستندًا إلى دلالة ظاهر اللفظ– «أن الله أخبرَ عما في الصحف أنه ﴿لَيْسَ لِلْإنْسانِ إلّا ما سَعى﴾، ولم يقل: لا يَنتفعُ إلاّ بما سعى، وأن الإنسان فيما ينتفع به في الدنيا قد ينتفع بما يَملِكه وبما لا يَملِكه، فلا يلزم من نَفْيِ الملكِ نَفْيِ الانتفاع، لكن هو يستحقُّ الثوابَ على سَعْيِه لأنه حقُّه، فلا يَخاف منه ظلمًا ولا هَضْمًا، وأما سعيُ غيرِه فهو لذلك الغير، فإن سعى له ذلك الغيرُ أثابَ الله ذلك الساعيَ على سَعْيه، ونفعَ هذا مِن سَعْيِ ذلك بما شاء، كما يثيبُ الداعيَ على دعائِه لغيره وينتفع المدعوُّ له».

وانتقد ابنُ تيمية (٦/ ١٤٧) القول الثاني –مستندًا إلى الدلالة العقلية– قائلًا: «وهذا ضعيف؛ لأنّ الله إنما ذكر هذا ليختبَر به هذه الأمّة كما تقدم، وليعلموا أنّ هذا حكم شامل، ولو كان هذا مخصوصًا بالأمّتين لم تقم به حُجّةٌ على أمة محمد – ﷺ – ».

كما قال تعالى: إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا [الإسراء: 7].

وقال سُبحانه: مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا [فصلت: 46].

وكذا ابنُ القيم (٣/ ٨١) –مستندًا إلى الدلالة العقلية– قائلًا: «وهذا أيضًا أضعف من الأول –أي: من القول الثالث– أو من جنسه، فإنّ الله سبحانه أخبر بذلك إخبارَ مُقَرِّرٍ له محتجّ به، لا إخبار مُبطلٍ له، ولهذا قال: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى﴾ [النجم: ٣٦]، فلو كان هذا باطلًا في هذه الشريعة لم يُخبر به إخبار مقرّر له محتجّ به».

وانتقد ابنُ تيمية (٦/ ١٤٧) القول الثالث –مستندًا إلى السياق– قائلًا: «وهذا أيضًا ضعيفٌ جدًّا، فإنّ الذي في صحف إبراهيم وموسى لا يختص به الكافر، وقوله بعده: ﴿وأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسانِ إلّا ما سَعى﴾ الآياتِ يتناول المؤمن قطعًا، وهو ضمير الإنسان، بل لو قيل: إنه يتناول المؤمن دون الكافر لكان أرجح من العكس، مع أنّ حكم العدل لا فرق فيه بين مؤمن وكافر، وما استحقّه المؤمن بخصوصه فهو بإيمانه ومن سعيه».

وكذا ابنُ القيم (٣/ ٨٠) –مستندًا إلى دلالة العموم– قائلًا: «وهذا الجواب ضعيف جدًّا، ومثل هذا العام لا يُراد به الكافر وحده، بل هو للمسلم والكافر، وهو كالعام الذي قبله، وهو قوله تعالى: ﴿أَلّا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى﴾، والسياق كلّه مِن أوله إلى آخره كالصريح في إرادة العموم؛ لقوله تعالى: ﴿وأَنَّ سَعْيَهُ سَوفَ يُرى ثُمَّ يُجْزاهُ الجَزاءَ الأَوْفى﴾ [النجم: ٤٠ – ٤١]، وهذا يعمّ الشر والخير قطعًا، ويتناول البَرّ والفاجر والمؤمن والكافر؛ كقوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ومَن يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧ – ٨]، وكقوله له في الحديث الإلهي: «يا عبادي، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إيّاها، فمَن وجد خيرًا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه».

وهو كقوله تعالى: ﴿يا أَيُّها الإنْسانُ إنَّكَ كادِحٌ إلى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاقِيهِ﴾ [الانشقاق: ٦]».

وانتقد ابنُ القيم (٣/ ٨١) أن يُراد بالإنسان شخص معيّن، فقال: «ولا تغتر بقول كثير من المفسّرين في لفظ الإنسان في القرآن: الإنسان هاهنا أبو جهل، والإنسان ها هنا عقبة بن أبي مُعَيط، والإنسان هاهنا الوليد بن المغيرة.

فالقرآن أجلُّ من ذلك، بل الإنسان هو الإنسان من حيث هو من غير اختصاص بواحدٍ بعينه، كقوله تعالى: ﴿إنَّ الإنْسانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ [العصر: ٢]، و﴿إنَّ الإنْسانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ [العاديات: ٦]، و﴿إنَّ الإنْسانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ [المعارج: ١٩]، و﴿إنَّ الإنْسانَ لَيَطْغى أنْ رَآهُ اسْتَغْنى﴾ [العلق: ٦ – ٧]، و﴿إنَّ الإنْسانَ لَظَلُومٌ كَفّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، و﴿وحَمَلَها الإنْسانُ إنَّهُ كانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢]».

وانتقد ابنُ تيمية (٦/ ١٤٨) القول الرابع قائلًا: «وهو أمثل مِن غيره من الأقوال، ومعناه صحيح، لكنه لم يفسّر الآية، فإن قوله: ﴿لَيْسَ لِلْإِنْسانِ﴾ نفيٌ عامٌّ، فليس له إلا ذلك، وهذا هو العدل، ثم إنّ الله قد ينفعه ويرحمه بغير سعيه من جهة فضْله».

وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى (40).

أي: وأنَّ عَمَلَ كُلِّ عاملٍ سوف يُرى ويُشاهَدُ يومَ القيامةِ.

كما قال تعالى: يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا [آل عمران: 30].

وقال سُبحانَه: فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ [الزلزلة: 7، 8].

ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى (41).

أي: ثمَّ يَجزيه اللهُ على سَعْيِه الجزاءَ الأَوفَرَ التَّامَّ.

وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى (42).

أي: وأنَّ إلى ربِّك –يا محمَّدُ– مَرجِعَ ومَصيرَ جَميعِ العِبادِ، لا إلى غَيرِه.[130]

وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى (43).

---

(130) ذكر ابنُ عطية (٨/ ١٢٧) في معنى: ﴿وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾ احتمالين: الأول: «أن يريد به: الحشر والمصير بعد الموت».

ثم وجَّهه بقوله: «فهو مُنتهى بالإضافة إلى الدنيا، وإن كان بعده مُنتهَى آخر وهو الجنة أو النار».

والثاني: «أن يريد بـ ﴿الْمُنْتَهَى﴾: الجنة أو النار».

ثم وجَّهه بقوله: «فهو مُنتهى على الإطلاق، ولكن في الكلام حذف مضاف، أي: إلى عذاب ربك ورحمته».

أي: وأنَّ اللهَ تعالى هو الَّذي أضحَكَ وأبكَى مَنْ شاء أن يُضحِكَهم أو يُبكِيَهم.[131]

وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا (44).

أي: وأنَّ اللهَ تعالى هو الَّذي أمات مَن شاءَ مِن خَلْقِه، وأحيا مَن شاءَ مِنهم.

قال تعالى: الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ... [الملك: 2].

وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى (45).

أي: وأنَّ اللهَ تعالى هو الَّذي خَلَق الصِّنفَينِ: الذَّكَرَ والأُنثى.

قال تعالى: سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ [يس: 36].

وقال سُبحانَه: وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ [الذاريات: 49].

مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى (46).

---

(131) ذكر ابنُ القيم (٣/ ٨٥) في معنى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾: أن «الضحك والبكاء فعلان اختياريان، فهو –سبحانه– المُضحِك المُبكِي حقيقة، والعبد هو الضاحك الباكي حقيقة.

وتأويل الآية بخلاف ذلك إخراج للكلام عن ظاهره بغير موجب».

ثم علَّق بقوله: «ولا منافاة بين ما يُذكَر من تلك التأويلات وبين ظاهره، فإنّ إضحاك الأرض بالنبات، وإبكاء السماء بالمطر، وإضحاك العبد وإبكاءه بخلْق آلات الضحك والبكاء له؛ لا ينافي حقيقة اللفظ وموضوعه ومعناه، من أنه جاعل الضحك والبكاء فيه، بل الجميع حقّ».

أي: خلَق اللهُ الصِّنفينِ –الذَّكَرَ والأُنثى– مِن نُطفةِ مَنِيّ حينَ تُصَبُّ وتُراقُ في الأرحامِ.[132]

كما قال الله تبارك وتعالى: أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى * أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى * فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى * أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى [القيامة: 36 – 40].

وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى (47).

أي: وأنَّ على اللهِ تعالى أن يَخلُقَ النَّاسَ بعدَ موتِهم، فيُعيدَهم أحياءً يومَ القيامةِ.

وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى (48).

أي: وأنَّ اللهَ تعالى هو الَّذي أغنى مَن شاءَ مِن عِبادِه، وجعَل لِمَن شاءَ منهم ما يَقتَنيه ويَدَّخِرُه بَعْدَ كِفايتِه.[133]

---

(132) ذكر ابنُ عطية (٨/ ١٢٨) في معنى: ﴿تُمنى﴾ احتمالين: الأول: «أن يكون من قولك: أمنى الرجل: إذا خرج منه المنِيّ»؟

والثاني: «أن يكون مِن قولك: منى الله الشيء: إذا خلقه».

ثم وجَّهه بقوله: «فكأنه قال: إذا تُخلَق وتُقدَّر».

(133) نقل ابن عطية (٨/ ١٢٩) عن بعضهم: أن «أقنى معناه: أكسب ما يُقتنى».

ثم نقل قول مجاهد، وحضرمي، ثم نقل عن الأخفش: «أقنى: أفقر».

ثم علَّق عليها بقوله: «وهذه عبارات لا تقتضيها اللفظة، والوجه فيها بحسب اللغة: أكْسَبَ ما يُقْتَنى».

ثم نقل قول ابن عباس أن أقْنى معناه: أقنع، ثم علَّق عليه بقوله: «والقناعة خير قَنْيَة، والغِنى عَرَضٌ زائل، فلله دَرُّ ابنِ عباس – رضي الله عنهما –».

ونقل ابنُ كثير (١٣/ ٢٨٢) قول حضرمي، وابن زيد، ثم انتقدهما بقوله: «وهما بعيدان مِن حيث اللفظ».

وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى (49).

أي: وأنَّ اللهَ تعالى هو خالِقُ نَجمِ الشِّعْرَى المُضيءِ، ومالِكُه ومُدَبِّرُ شأنِه.

وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى (50).

أي: وأنَّ اللهَ تعالى أهلَكَ قَبيلةَ عادٍ؛ قَومِ هُودٍ!

كما قال تعالى: فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ [فصلت: 16].

وقال سُبحانَه: إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ * تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ [القمر: 19، 20].

وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى (51).

أي: وأنَّ اللهَ تعالى أهلَكَ قَبيلةَ ثَمودَ؛ قَومِ صالِحٍ، فما أبقَى منهم أحَدًا!

كما قال تعالى: إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ [القمر: 31].

وقال سُبحانَه: فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا [الشمس: 14].

وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى (52).

وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ.

أي: وأنَّ اللهَ تعالى أهلَكَ بالغرَقِ قَومَ نُوحٍ مِن قَبْلِ عادٍ وثمودَ!

كما قال تعالى: وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ [الفرقان: 37].

وقال سُبحانَه: وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ [العنكبوت: 14].

إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى.

أي: إنَّ قَومَ نُوحٍ كانوا هم أشَدَّ ظُلمًا، وأعظَمَ كُفرًا وطُغيانًا مِن غيرِهم.

كما قال تعالى: كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ * فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ [القمر: 9، 10].

وقال سُبحانَه: وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ [الذاريات: 46].

وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى (53).

أي: وقَريةَ قَومِ لُوطٍ أسقَطَها جبريلُ، وجَعَل عاليَها سافِلَها.

كما قال تعالى: فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا [الحجر: 74].

وقال سُبحانَه: وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ * فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً [الحاقة: 9، 10].

فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى (54).

أي: فغطَّى تلك القَريةَ ما غطَّاها مِنَ الحِجارةِ الَّتي أُمطِرَت عليهم.

كما قال تعالى: فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ [هود: 82].

وقال سُبحانَه: وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ [الفرقان: 40].

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى (55).

أي: فبأيِّ نِعَمِ رَبِّك -أيُّها الإنسانُ- ترتابُ وتُشَكِّكُ، وتُكذِّبُ وتُجادِلُ؟!

سُورَةُ النَّجْمِ

الآيات (56–62)

هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولَى (56) أَزِفَتِ الْآزِفَةُ (57) لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ (58)

أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ (59) وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ (60) وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ (61)

فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا (62)

غريب الكلمات:

أَزِفَتِ الْآزِفَةُ: أي: قرُبَت ودَنَت القيامةُ، وسُمِّيت بذلك؛ لِقُربِها، وأصلُ (أزف): يدُلُّ على الدُّنُوِّ والمُقارَبةِ.

سَامِدُونَ: أي: لاهُونَ غافِلونَ مُعرِضونَ، وأصلُ (سمد): يدُلُّ على مُضِيٍّ قُدُمًا مِن غَيرِ تَعريجٍ؛ لأنَّ اللَّاهيَ يَمضي في أَمرِه غَيرَ مُعَرِّجٍ ولا مُتمَكِّثٍ.

تفسير الآيات:

هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولَى (56).

أي: هذا الرَّسولُ محمَّدٌ - ﷺ - نذيرٌ للنَّاسِ مِن جِنْسِ مَن سَبَق مِن الرُّسُلِ.[134]

كما قال الله تعالى: تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا [الفرقان: 1].

أَزِفَتِ الْآزِفَةُ (57).

أي: قَرُبَت ودَنَت القيامةُ القَريبةُ مِنكم، أيُّها النَّاسُ!

كما قال الله تبارك وتعالى: اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ [الأنبياء: 1].

---

(134) اختُلف في معنى: ﴿هَذا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الأُولى﴾ على قولين: الأول: أنّ النبي - ﷺ - نذيرٌ لقومه كما كانت النُّذُر الذين قبله نُذُرًا لقومهم.

الثاني: هذا الذي أنذرتكم به -أيُّها القوم- مِن الوقائع التي ذكرتُ لكم أني أوْقَعْتُها بالأمم قبلكم، من النُّذُر التي أنذرتها الأمم قبلكم في صحف إبراهيم وموسى.

ورجَّح ابنُ جرير (٢٢/ ٩٤) -مستندًا إلى السياق- القول الثاني، وهو قول أبي مالك، فقال: «وهذا القول الذي ذُكِر عن أبي مالك أشْبَه بتأويل الآية».

ثم علَّل ذلك بقوله: «وذلك أنّ الله -جلَّ ثناؤه- ذكر ذلك في سياق الآيات التي أخبر عنها أنها في صحف إبراهيم وموسى نذيرٌ من النُّذُر الأولى، التي جاءت الأمم قبلكم كما جاءتكم، فقوله: ﴿هَذا﴾ بأن يكون إشارة إلى ما تقدَّمه من الكلام، أوْلى وأَشْبه منه بغير ذلك».

ونقل ابنُ عطية (ينظر: ٨/ ١٣٢) عن قوم: أن الإشارة إلى القرآن.

ثم رجَّح ابنُ عطية (٨/ ١٣٣) القول الأول، فقال: «والأشبه أن تكون الإشارة إلى محمد - ﷺ -».

ولم يذكر مستندًا.

وذكر ابنُ تيمية (٦/ ١٥٠) أن القول الأول، وكذا قول مَن قال: إن الإشارة إلى القرآن متلازمان.

وقال سُبحانَه: وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ [غافر: 18].

وقال سُبحانَه: وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ [الشورى: 17].

وقال عزَّ وجَلَّ: إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا * وَنَرَاهُ قَرِيبًا [المعارج: 6، 7].

لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ (58).

أي: لا يَدفَعُها مِن دونِ اللهِ أحَدٌ، ولا يَطَّلِعُ على عِلْمِها سِواه.(135)

كما قال تعالى: يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ [الأعراف: 187].

أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ (59).

أي: أفمِن هذا القُرآنِ تَعجَبونَ، أيُّها المُشرِكونَ؟!

---

(135) نقل ابنُ عطية (٨/ ١٣٣) عن ابن جرير والزّجاج أن معنى: ﴿كاشفة﴾: «هو من كشف السِّرّ».
ثم وجَّهه بقوله: «أي: ليس من دون الله من يكشف وقتها ويعلمه».
ثم ذكر عن منذر بن سعيد –نقلًا عن الزهراوي–: «هو من كشف الضُّرِّ ودَفْعِه».
ثم وجَّهه بقوله: «أي: ليس من يكشف هولها وخطبها».

قال تعالى: أَجَعَلَ الْآَلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ [ص: 5].

وقال سُبحانَه: بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ [ق: 2].

وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ (60).

أي: وتَضحَكونَ مِنَ القُرآنِ استِهزاءً، ولا تَبكُونَ انزِجارًا وخَوفًا؟!

وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ (61).

أي: وأنتم غافِلونَ لاهُون.(136)

قال تعالى: اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ * مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ * لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ [الأنبياء: 1 – 3].

فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا (62).

أي: فاسجُدوا للهِ وَحْدَه خاضِعينَ له، واعبُدوه وَحْدَه مُخلِصينَ له.

---

(136) ذكر ابنُ عطية (٨/ ١٣٤) أنّ «السامد: اللاعب اللاهي.
وبهذا فسّر ابن عباس وغيره من المفسّرين،...
وسَمَدَ بلغة حِمْيَرَ: غَنّى».
وعلّق عليهما بقوله: «وهذا كلّه معنًى قريبٌ بعضُه من بعض».

تمَّ بحمدِ الله تعالى المجلَّدُ الخامِسُ والثَّلاثونَ

ويَليه المجلَّدُ السَّادِسُ والثَّلاثونَ، وأوَّله: تفسير سُورة القَمَرِ

الفهرس

"هَذِهِ مُسْوَدَّةُ نُسْخَةٍ إِلِكْتِرُونِيَّةٍ، جَمِيعُ حُقُوقِهَا مَحْفُوظَةٌ لِلْمُؤَلِّفِ.

لَا يُسْمَحُ بِنَشْرِهَا أَوْ تَدَاوُلِهَا إِلَّا بِإِذْنٍ كِتَابِيٍّ صَرِيحٍ مِنَ الْمُؤَلِّفِ."

نسخة إلكترونية

المُغْني في التَّفْسِير

المُحَرِّرُ الجَامِعُ لِتَفَاسِيرِ السَّلَفِ

[تَهْذِيبُ التَّفْسِيرِ المُحَرَّرِ لِلدُّرَرِ السَّنِيَّةِ]

[مُطَرَّزًا بِحَاشِيَةٍ مِنْ تَحْرِيرَاتٍ وَتَرْجِيحَاتٍ وَتَعْلِيقَاتِ عُيُونِ تَفَاسِيرِ المُحَقِّقِينَ فِي التَّفْسِيرِ:

{ابْنِ جَرِيرٍ، وَابْنِ عَطِيَّةَ، وَابْنِ تَيْمِيَّةَ، وَابْنِ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ، وَابْنِ كَثِيرٍ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى}

كَتَبَهُ وَاعْتَنَى بِهِ

د/ هَانِي بْن عَبْده

د/ آلَاء رِضَا